السنة الرابعة والستُّون

فيها توجَّه مُسرفُ بن عُقبة من المدينة إلى مكة لقتال ابنِ الزبير، ولمَّا سار عن المدينة خلَّف عليها رَوْحَ بنَ زِنْباع، وقيل: عَمرو بن مُحرز الأشجعي.

فلما وصل إلى قفا المشلَّل[(١)] نزل به الموت، فدعا الحُصين بنَ نُمير السَّكوني وقال له: يا بَرْذَعة الحمار، أما واللهِ لو كان لي من الأمر شيءٌ ما ولَّيْتُك من أمر هذا الجيش شيئاً، ولكنَّ أمير المؤمنين أمرني بذلك، فاحفظ عنّي أربعاً: أسرع السَّيْر، وعجِّل الوِقاع، وعَمِّ الأخبار، ولا تُمكِّن قريشاً[(٢)] من أذنك، ولا تردَّنَّ أهلَ الشام عن عدوِّهم، ولا تُقيمنَّ إلا ثلاثاً، وناجزِ ابنَ الزبير.

ثم كان آخر كلامه أن قال: اللَّهمَّ إنِّي لم أعمل عملاً قطُّ بعد الإيمان[(٣)] أحبَّ إليَّ في الدنيا والأخرى من قتال أهل المدينة. ومات، فدُفن بقفا المُشَلَّل. وقيل: بقُديد.

وسار الحصين[(٤)] بنُ نُمير إلى مكة، فقدمَها لأربع ليال بقين من المحرَّم، وقد اجتمع إلى ابن الزُّبير خلقٌ عظيم، وجاءه فَلٌّ[(٥)] المدينة. وجاء نجدةُ الحروريّ ومعه أهلُ اليمامة يحمون الكعبة.

فلما نزلَ الحُصين بظاهر مكة قال عبد الله بن الزبير لأخيه المنذر بن الزبير: يا أخي، ما لهؤلاء إلا أنا وأنت. وكان المنذرُ ممَّن شهدَ الحرَّة، ولحق بأخيه، فقال المنذر: أنا. فخرج إليهم في جيش ومعه المِسْور بنُ مَخْرَمَة، ومصعبُ بنُ عبد الرحمن ابن عوف. فدعا رجلٌ من أهل الشام إلى المبارزة، فخرج إليه المنذرُ على بغلة له،

---

(١) المشلَّل: جبل يُهْبَط منه إلى قُدَيْد (وقديد موضع قرب مكة).

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٦ : قرشياً.

(٣) الكلمة غير مجودة في (ب) و(خ) ورسمها: الرياد. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧٦ . ولفظ العبارة في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٧ : بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...

(٤) في (م): السنة الثالثة والستون من الهجرة النبوية. مسير الحصين بن نمير إلى مكة. قال علماء السير: سار الحصين...

(٥) الفَلُّ: المنهزم، يقال للواحد والجمع. ووقع في (ب) و(خ): قلّ، وفي (م): وفد. وعبارة «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧٦ : وأتاه فَلّ أهل الحرَّة.

openkanad.com

والشاميُّ على بغلة، فاختلفا ضربتين، قَتَلَ كلُّ واحد منهما صاحبَه، وعلمَ ابنُ الزُّبير، فركب بغلةً وخرج إليهم، وصاح بالمسور وفرسانه، وقاتلوا قتالاً شديداً إلى الليل[١].

وكان المختار بن أبي عُبيد يومئذ في مكة عند ابن الزُّبير، فقاتل قتالاً شديداً، ولما قُتل المنذرُ والمِسْوَر بنُ مخرمة ومصعبُ بنُ عبد الرحمن بن عوف نادى المختار[٢]: يا أهل الإسلام، إليَّ إليَّ، أنا المختار بنُ أبي عُبيد، صاحبُ الجسر، أنا ابنُ الكرَّار، لا ابنُ الفرَّار، أنا ابنُ المُقْدِمين غيرِ المُحْجِمين، إليَّ يا أهلَ الحِفاظ وحُماةَ الأَدْبار. وردُّوا أهل الشام على أعقابهم. ثم إنَّهم[٣] تحاجزوا.

وهذا أوَّلُ يوم ناجزوه ونازلوه، ثم أقاموا يُقاتلونه بقيَّة المحرّم وصفَر كلَّه وثلاثةَ أيام من ربيع الأول، آخرها يوم السبت.

فلما كان يوم السبت[٤] رابع ربيع الأول، قذفوا البيت بالمناجيق[٥]، وفيها قُدور النِّفْط والنار. وارتجز أهل الشام:

خطَّارةٌ مثلُ الفَنيقِ المُزْبِدِ[٦] ... نرمي بها أعوادَ هذا[٧] المسجدِ

وجعلَ عَمرو بنُ حَوْط السَّدوسي يقول:

كيفَ تَرَى صنيعَ أمِّ فَرْوَه ... تأخُذُهم بينَ الصَّفا والمَرْوَه

وأمُّ فَرْوةَ والخطَّارة هي المنجنيق.

واحترقت الكعبة، [واختلفوا في سبب حريقها على أقوال، ذكرها الواقدي قال: احترقت الكعبة] يوم السبت لثلاث ليال خلون من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين قبل أن يأتيَ نَعْيُ يزيد بن معاوية بتسعة وعشرين يوماً، وجاء نعيُه لهلال ربيع الآخِر ليلةَ الثلاثاء.

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٧٦-٣٧٧، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٤٩٧.
(٢) لفظ العبارة في (ب) و(خ): ولما ولى المنذر والمسور بن مخرمة ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف قد قتلوا نادى المختار...(؟) والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٧٥.
(٣) في (ب) و(خ): على أنهم. والمثبت من (م) والكلام فيها مختصر.
(٤) في (م): السنة الرابعة والستون. ذكر حريق البيت وقذفه بالمناجنيق (كذا). قالوا: فلما كان يوم السبت...
(٥) كذا في (ب) و(خ)، يعني جمع المنجنيق. والذي في «القاموس» أن الجمع: مجانق ومجانيق.
(٦) الفَنِيق: الصُّبح المشرق، والمُزْبِد: شديد البياض، والخطَّارة المنجنيق وسيرد.
(٧) في (م): عُوَّاذ أهل.

[قال:] رماها رجلٌ من أهل الشام بقبس من نار في رأس رمح، فطارت منه شرارة فعلقت بأستار الكعبة، فأحرقها، وتهدَّم بناؤها[(١)].

وقيل: إن أصحابَ ابنِ الزبير كانوا يُوقدون حول الكعبة، فأقبلت شرارةٌ هبَّتْ بها الرِّيح، فأحرقت باب[(٢)] الكعبة، ثم احترق الكلّ.

وقيل: قام رجل من أصحاب ابن الزبير. يُجمِّرُ الكعبة، ويدور حولها، فلعبت النار في أستارها، فاحترقت.

وقال الواقدي: إنَّ أصحاب يزيد رموها[(٣)] بمنجنيق فيه نار فأحرقوها.

[قال الواقدي: فحدَّثني عبد الله بن زيد قال: حدثني عروة بن أُذينة قال: قدمَتْ بي أمي مكة يوم احترقت الكعبة، فرأيتُها مجرَّدة من الحرير، ورأيت الركن قد انصدع فيه ثلاثة أمكنة، واسودّ. فقلتُ: ما أصاب الكعبة؟ فأشاروا إلى رجل من أصحاب ابن الزبير، فقالوا: أخذ هذا قَبَساً في رأس رمح، فهبَّت به النار، فاحترقت أستارُها، ودخل النار فأحرق الخشب[(٤)] والسقوف، فذلك الذي أحوجَ ابن الزبير إلى بنائها].

فبينما هم على ذلك إذ جاءهم نعي يزيد بن معاوية [لهلال ربيع الآخِر]، فكان مدة حصارهم لمكة سبعة وتسعين يوماً[(٥)].

[وقيل: قاتلوها ستين يوماً.

وقيل: وكان بين موت يزيد ووقعة الحَرَّة ثلاثة أشهر.

وظهر مصداق قوله ﷺ: «مَنْ أرادَ أهلَ مدينتي بسوء أذابه الله كما يذوبُ المِلحُ في الماء». [أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة، وذكر أحاديث في هذا المعنى][(٦)].

---

(١) سيرد الخبر بأطول منه بين حاصرتين من (م). وما وقع هنا بين حاصرتين منها أيضاً.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٨ : ثياب.

(٣) في (م): وفي رواية عن الواقدي أن أهل الشام رموها...

(٤) كذا وقع سياق الكلام في (م)، وهو ما بين حاصرتين، والخبر بنحوه في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٨-٤٩٩ .

(٥) كذا وقع في (ب) و(خ) و(م) وهو خطأ، وإنما مدّة الحصار أربعة وستون يوماً، وهي بين قدوم الحُصين مكة لأربع بقين من المحرم (كما سلف) وخبر نعي يزيد لهلال ربيع الآخِر، وهو ما ذكره الطبري في «تاريخه» ٥/ ٤٩٨ .

(٦) صحيح مسلم (١٣٨٦). وأخرجه أيضاً من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ. والكلام بين حاصرتين من (م).

ولما بلغ ابنَ الزبير هلاكُ يزيد ـ وأهلُ الشام لا يعلمون وقد حصروه حصاراً شديداً وضيَّقوا عليه ـ نادى: يا أهل الشام، علام تقاتلونا وقد هلك طاغيتكم؟ فلم يصدِّقوه حتى قدم ثابت بن قيس بن المقفع[١] النَّخَعي الكوفي، فمرَّ بالحُصين، وكان بينهما صداقة وصهر، فأخبره.

ولما تيقَّن الحُصين ذلك بعث لابن الزبير يقول: موعدُنا بيننا وبينك الليلة الأبطح. فالتقيا، فقال له الحُصين: إنْ يكُ هذا الرجل قد هلك؛ فأنت أحقُّ الناس بهذا الأمر من بين سائر الناس، فهلمَّ أبايعْك، واخْرُجْ معي إلى الشام، فإن هذا الجيش الذي معي هم وجوه أهل الشام وفرسانُهم، فواللهِ لا يختلفُ عليك اثنان، وتُؤمِّنُ الناسَ، وتُهدِرُ هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك، والتي بيننا وبين أهل الحرَّة. قال: أنا أُهدِرُ تلك الدماء! أما والله لا أفعلُ حتى أقتلَ بكلِّ رجل منهم عشرة.

فأخذ الحُصين يكلِّمه سراً وابن الزُّبير يجهر جهراً. فقال له الحُصين: قبَّح الله من يعدُّك بعدها داهية أو أريباً، أنا أكلِّمُك سرّاً وأنت تكلِّمُني علانية، وأدعوك إلى الخلافة وتهدِّدُني بالقتل[٢]!

ولما التقيا بالأبطح راثت فرسُ أحدِهما، فجاء حمام الحرم يلتقطُ من رَوْث الفرس، فكفَّ الحُصين فرسَه لئلا يطأ الحمام، فقال له ابن الزبير: أتتحرَّج من قتل الحمام، وتقتلُ المسلمين في الحرم، وتنتهكُ حرمةَ الكعبة؟!

ولما لم يتفقا على أمر؛ قال له الحُصين: ائذن لي ولأصحابي أن نطوف بالبيت وننصرف. فأذنَ لهم[٣].

وقال ابن سعد[٤]: قال ابن الزبير: قد مات يزيد، وأنا أحقُّ بهذا الأمر، لأن عثمان عهدَ إليّ في ذلك عهداً صلَّى به خلفي طلحةُ والزُّبير، وعرفَتْه أمُّ المؤمنين عائشة،

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٠١ : المُنْقع، وفي «اللباب» ٣/ ١٠٨ : المقنع.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٢ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٨٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠١ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٠ .

(٤) في «الطبقات» ٦/ ٤٨٧ .

فبايعْني وادْخُلْ فيما دخلَ فيه المسلمون. فقال له الحُصين: يا أبا بكر، إني واللهِ لا أتقرَّب إليكم بغير ما في نفسي، أقْدَمُ الشام، فإنْ رأيتُهم مجتمعين عليك أطعتك وقاتلتُ من عصاك، وإنْ وجدتُهم مجتمعين على غيرك أطعتُه وقاتلتُك. ولكن سِرْ معي إلى الشام أُمَلّكْكَ رقابَ العرب. فقال ابن الزبير: أَوَ أبعثُ رسولاً؟ فقال له الحُصين: تبّاً لك سائر اليوم، إنَّ رسولك لا يكونُ مثلَك. وافترقا.

ثم صاح الحُصين في الناس، وسار نحو المدينة، وندم ابن الزُّبير على ما صنع، فبعث إلى الحُصين: أمَّا سَيْري إلى الشام؛ فلستُ فاعلاً ذلك، أكرهُ أنْ أخرج من مكة، ولكنْ بايِعُوا لي بالشام، فإنّي مؤمِّنُك وعاذل عليك[١]. فقال الحُصين: إن لم تخرج بنفسك، وإلا فهناك أناسٌ من هذا البيت كثير يطلبونها[٢].

وأمِنَ الناسُ، ووضعت الحرب أوزارَها، ودَعَا ابنُ الزُّبير من يومه ذلك إلى نفسه، وسُمِّي أميرَ المؤمنين، وتركَ الشِّعار الذي كان يُدعى به عائذَ البيت، ولا حُكم إلا لله، وفارقَتْه الخوارج وتركوه[٣].

ولما قارب الحُصين المدينة التقاه عليُّ بنُ الحسين بن عليّ عليه السلام ومعه قَتٌّ وشعير، وهو على راحلة، [فسلّم على الحُصين] فلم يلتفت إليه الحُصين، ومع الحُصين فرسٌ أنثى عتيق، وقد فَنِيَ قَتُّه وشعيرُه، فجعل الحُصين يَسُبُّ غلامَه ويقول: من أين نجد ههنا لدوابِّنا علفاً؟! فقال له عليُّ بن الحسين رضي الله عنهما: معنا قَتٌّ وشعير لدابَّتك. فأقبل حينئذ على عليٍّ رضي الله عنه، فبعث إليه بما كان معه من قَتٍّ وشعير.

وطمع أهل الحجاز والمدينة في أهل الشام؛ بحيث إنه ما كان ينفرد أحدهم إلا وأُخِذَ بلجام فرسه ونُكِسَ عنها، فنزل أهل الشام فكانوا لا يفترقون. وقالت لهم بنو أمية: خُذُونا معكم. فخرجوا معهم.

ولما قدموا دمشق وجدوا معاوية بن يزيد قد بُويع من أبيه[٤].

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٠٢: مؤمّنكم وعاذل فيكم.

(٢) المصدر السابق.

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٤٨٧.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٢-٥٠٣.

obeikandi.com

الباب الثالث

في بيعة معاوية بن يزيد

وكنيتُه أبو يزيد، وقيل: أبو عبد الرحمن، فلما وليَ الخلافة كُنّيَ أبا ليلى؛ على كنية المستضعفين من العرب، وفيه يقول الشاعر:

إنّي أرى فتنةً تغلي مَرَاجلُها والمُلْكُ بعد أبي ليلى لمن غَلَبا[١]

ولم يكن في بني أمية من يعادلُه في نُسُكه وعبادته، ووُلد بأذرعات سنة إحدى وأربعين[٢].

واختلفوا في أمِّه، فقيل: هي أمُّ هانىء بنت أبي هاشم بن عُتبة بن ربيعة، وقيل: أمّ هاشم، وقيل: فاختة، وقيل: أمُّ حبيب بنت أبي هاشم بن عتبة. والمشهور أنَّ اسمها فاختة، وكنيتها أمّ هاشم.

ذكر بيعته:

بُويع يوم الخميس منتصف ربيع الأول ـ وقيل: يوم الاثنين ـ عند وفاة أبيه سنة أربع وستين بعهد من أبيه يزيد، ورضًى من بني أمية من غير خلاف.

وفي ولايته يقول عبد الله بن همَّام السَّلُولي:

تلقَّاها يزيدٌ عن أبيه فدونَكَها معاويُ عن يزيدا
أَدِيرُوها بني حربٍ عليكمْ ولا تَرْمُوا بها الغَرَض البعيدا
فإنْ دنياكُم بكُمُ اطمأنَّتْ فأَوْلُوا أهلَها خَلَفاً جديدا[٣]

وكان معاوية كارهاً للأمر، غير مريد له، وكان مشغولاً بالعبادة. ولما بُويع خطبَ فقال: أيُّها الناس، إنَّا بُلينا بكم، وبُليتُم بنا، وما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا،

(١) نسب قريش ص ١٢٨، وأنساب الأشراف ٤/ ٣٩٦، والمعارف ص ٣٥٢، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٠٠، وتاريخ دمشق ٦٨/ ٤٠٦ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) في «تاريخ الإسلام» ٢/ ٧٢١: مولده سنة ثلاث وأربعين.

(٣) ينظر «نسب قريش» ص ١٢٩، و«تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤٠٠ و٤٠٤.

ألا وإنَّ جدِّي معاويةَ نازعَ هذا الأمر من كان أولَى منه، فمضى لسبيله، وأقام جدِّي بعده على ما قد علمتُم، فركبَ منكم ما تعلمون، وركبتُم منه ما لا تنكرون، ثم أتَتْه منيَّتُه، فصار مرتهناً بعمله، ثم قَلَّدَ أبي هذا الأمر، فركبه هواه، فأخلفه الأمل، وقصَّر عنه الأجل، فانقطعت مدَّتُه، وصار أسيرَ جُرْمِه، رهين[1] ذنبه. ثم بكى وقال: لستُ بالمختار لتقلُّد أموركم، ولا بالمتحمّل لتبعاتكم، فشأنُكم أمركم، فواللهِ لئن كانت الدنيا مغنماً فلقد نلنا منها حظّاً، وإنْ تكن شرّاً؛ فحسبُ آل أبي سفيان ما أصابوا منه.

وكان مروان حاضراً، فقال: سنَّها واللهِ عُمَريَّة. وسمعه معاوية فقال: يا مروان، ومتى صار معاوية بنُ يزيد مثل عمر بن الخطاب؟! ومن أين لي برجال مثل رجال عمر؟! ثم نزل[2].

وقال الهيثم: خطب وقال: أيُّها الناس، إني ضعيف، فاختارُوا لأنفسكم من ترضَوْنه. ثم نزل، فدخل داره، فقالت له أمُّه: يا ليتني كنت نَسْياً منسيّاً ولم تضعف هذا الضعف. فقال: أنا ـ واللهِ ـ وَدِدْتُ أني كنتُ كذلك ولم أُعرِّض نفسي لجهنَّم[3].

وقال أبو عَوانة: إن معاوية بنَ يزيد خطب وقال: أمَّا بعد، فإني نظرتُ في أمري وأمرِكم، فضعفتُ عنه، فابْتَغَيْتُ[4] لكم رجلاً مثل عمرَ بنِ الخطاب حين فزِعَ إليه أبو بكر، فلم أجده، فابْتَغَيْتُ لكم سِتَّةً في الشورى مثل سِتَّة عمر، فلم أجِدْهم، فأنتُم أولى بأمركم، فاختارُوا له من أحببتُم.

ثم دخل منزله ولم يخرج إلى الناس، وتغيَّب حتى مات. فقال بعض الناس: دُسَّ إليه من سقاه سُمّاً، وقال بعضهم: طُعن[5].

وقرَّر عمالَ أبيه، ولم يولِّ أحداً، ولم يعزل أحداً، بل أقام مريضاً إلى أن مات، رحمه الله.

---

(١) في (ب) و(خ): عفير (؟) ولعل المثبت هو مراد المصنف، وفي «تاريخ اليعقوبي» ٢/ ٢٥٤: رهناً بذنبه.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٨ـ٣٩٩.

(٤) في (ب) و(خ): فأبغيت (في الموضعين) والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٠ـ٥٣١.

(٥) المصدر السابق.

وفيها اتَّفق أهلُ البصرة على عُبيد الله بن زياد على أن يقوم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام يرضَوْنه لأنفسهم، وأرسل رسولاً إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل ذلك، فحصبوا رسولَه، ثم نفاه أهلُ البصرة بعد ذلك(١).

كان عُبيد الله بن زياد بالبصرة، وخليفتُه بالكوفة عَمرو بن حُريث المخزومي، فجاء نعي يزيد إلى البصرة، فقام ابنُ زياد خطيباً فقال في خطبته: يا أهل البصرة، قد وَلِيتُكم وفي ديوان مقاتلتكم سبعون ألفاً، وهم اليوم ثمانون ألفاً، وكان في ديوان عيالكم سبعون ألفاً، وهم اليوم مئة وعشرون ألفاً، وما تركتُ لكم ذا ظِنَّة تخافون منه إلا وهو في حبسي، وإنَّ يزيد بن معاوية قد مات، واختلفَ أهل الشام، وأنتم اليوم أكثرُ الناس عدداً وأغناهم، فاختاروا لأنفسكم رجلاً ترضَوْنه لدينكم وجماعتكم، فأنا أول راضٍ به وتابعٌ له. فقالوا: ما نعلمُ أحداً أقوى عليها منك، فهلمَّ فلنبايعك. فقال: لا حاجةَ لي فيها، فاختاروا لأنفسكم رجلاً، فإن اجتمعَ أهلُ الشام على رجل ترضَوْنَه دخلتُم فيما دخل فيه الناس، وإلا أنتم على حالكم. فقالوا: ما نرى لها سواك. فبايَعوه وانصرفوا ويقولون: أيظنُّ ابنُ مَرْجانة أنْ نستقادَ له في الجماعة. كذبَ عدوُّ الله(٢).

وبعث ابنُ زياد إلى خليفته على الكوفة عَمرو بنِ حُريث مع عامر بن مسمع القيسي وسعد ابن القرحاء ليُخبروا أهلَ الكوفة بما فعل أهلُ البصرة، فجمع عَمرو بنُ حُريث الناس، وأخبرَهم باتفاق أهل البصرة على إمرة عُبيد الله عليهم حتى يتفق الناس على إمام. وقال ابن حريث: إنما البصرة والكوفة شيءٌ واحد. ثم قام الرسولان وقالا: ليكن أمرُنا وأمرُكم جميعاً. فقام يزيد(٣) بن الحارث بن رُويم الشيباني فقال: أنحن نُبايع ابنَ مَرْجانةَ الفاسقَ ابنَ الفاسق الدعيّ! لا والله، ولا كرامة. ثم حَصَبَ الرسولين(٤) وعَمرَو بنَ حُرَيْث، وحصبَهم الناس، فأخرجوهم من الكوفة، فقدموا البصرة، وأخبرُوا ابنَ زياد بما لَقُوا.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٣.
(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٦٥ـ٤٦٦، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٠٤ـ٥٠٥.
(٣) في (ب) و(خ): زيد. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٢٤ و٥٢٥.
(٤) في (ب): الرسولان. وفي (خ): خطب الرسولان، وثمة أخطاء أخرى مثلها فيهما لم أشر إليها لئلا أُثقل الحواشي بما لا فائدة فيه.

وبلغَ أهلَ البصرة وقالوا: نخلعُ الفاسقَ كما خلعه أهلُ الكوفة. فوثبوا عليه[(١)].

وقال يونس بن حبيب الجَرْمي: كان يزيد بنُ معاوية قد تغيَّر على ابنِ زياد، وسببُه أنَّ ابنَ زياد لما قتلَ الحسينَ وبني أبيه، وبعثَ برؤوسهم والسبايا إلى يزيد، سُرَّ بقتلهم أولاً، وحسُنَتْ حالةُ ابنِ زياد عنده. ثم لم يلبث إلا يسيراً، فندم على قتل الحسين رضي الله عنه، وكان يقول: وماذا عليَّ لو احتملتُ الأذى، وأنزلتُه معي في داري حفظاً لرسول الله ﷺ، ورعاية لحقِّه وقرابته، وحكَّمْتُه فيما يريد. وكان يُكثر من ذلك ويقول: لعنَ الله ابنَ مَرْجانة، فإنه اضطره إلى أن قُتل، وقد كان سألَه أن يُخلِّيَ سبيلَه؛ فإمَّا أن يرجع من حيث جاء، أو يأتيَني فيضعَ يده في يدي، أو يلحق بثغر من ثغور المسلمين حتى يتوفَّاه الله تعالى، فأبى ذلك وقتلَه، فبغَّضني إلى المسلمين، وزرعَ لي في قلوبهم العداوة، فأبغضني البَرُّ والفاجر بما استعظم الناس من قتلي حُسيناً، مالي ولابنِ مَرْجانة، لعنه الله وغضب عليه.

وبلغ ابنَ زياد، فأرسل مولًى له يقال له: أيوب بن حُمْران إلى الشام ليأتيه بالخبر، فعاد إليه بموت يزيد، فأمر عُبيد الله منادياً، فنادى: الصلاة جامعة. فاجتمعَ الناس، فخطبَ، ونَعَى يزيد، وعرَّض بثَلْبه لِما بلغَه عنه. فقال له الأحنفُ بنُ قيس: إنه قد كان ليزيد في أعناقنا بيعة. فأعرضَ عنه.

ثم قال عُبيد الله: إن أهلَ الشام قد اختلفوا.. وذكر بمعنى ما تقدَّم. فبايعوه عن رضًى منهم، فلما خرجوا من عنده جعلوا يمسحون أكفَّهم بباب الدار والحيطان ويقولون: أيظنُّ ابنُ مَرْجانة أنَّا نُولِّيه أمرَنا؟!

وجعل سلطانُ ابن زياد يضعُف وأمرُه لا يُمتثل، ويأمر بحبسِ شخص فيُحالُ بين أعوانه وبينَه.

ودعا سَلَمةُ بنُ ذُؤيب بن عبد الله اليربوعي إلى عبد الله بنِ الزُّبير، فاجتمع إليه ناس، وبايعوه لعبد الله ابن الزبير، فجمع ابنُ زياد القبائل وقال: هذا سَلَمة بن ذُؤيب يدعوكم إلى الفُرقة ليضربَ بعضَكم ببعض، وأنا فقد ضعُف سلطاني، وما بايعتموني

---

(١) المصدران السابقان قبل تعليق.

على هذا. فقال الأحنف وأشرافُ الكوفة: نحن نجيئك بِسَلَمة. ومضَوْا إليه، فلم يقدِرُوا عليه، فلم يعودوا إلى ابنِ زياد.

وكان في بيت المال ثمانية آلاف ألف درهم، وقيل: تسعة عشر ألف ألف، فجمعَ الأشراف والعظماء وقال: هذا بيتُ مالكم وفيئكم، فخُذُوا أُعطِياتِكم وأرزاقَ ذراريكم منه. وأمر الكَتَبة باستخراج أساميهم، واستعجل في ذلك؛ حتى كان الكتَّاب يكتبون أسامي الناس في الليل على الشمع. فلمَّا[1] صنعوا به ما صنعوا وقعدوا عنه، ولم يحضر إليه سَلَمة بنُ ذؤيب؛ منعهم المال، وأخذَه معه لمَّا هرب، وفرَّقه في آل زياد، فذلك المال في آل زياد إلى اليوم.

ثم دعا عُبيد الله البخاريَّة الذين قدم بهم معه من بُخارا وقال لهم: تُقاتلون معي. فقالوا: إنْ أمَرَنا قُوَّادنا قاتلنا. فقال له إخوتُه: عمَّن تقاتل؟ ما ثَمَّ خليفةٌ فتقاتلَ عنه، وإن هُزمتَ أمدَّك، والحربُ دُوَل، فلا ندري ما يكون، وعندنا أموال، فإن ظهروا علينا أخذُوها فهلكنا. وقال له أخوه عَبْدُ الله بنُ زياد لأبيه وأمّه: واللهِ لئن قاتلتَ القوم لأعتمدنَّ على ظُبَةِ سيفي حتى يخرج من صُلبي.

فلما رأى عُبيد الله ذلك أرسلَ إلى الحارث بن قيس بن صُهْبان فقال له: يا حارث، إن نفسي تأبى غيرَكم، وقد احتجتُ إلى الهَرَب والجِوار، وقد اخترتُكم[2]. فقال له: إنْ أخرجتُك نهاراً خفتُ أن لا أصل بك إلى قومي حتى أُقتل أو تُقتل، ولكن أُقيمُ معك إلى الليل، وأُردِفُك خلفي لئلا تُعرف. قال: نعم.

وخرج به وبإخوته وأهله ومعهم الأموال، فجعل عُبيد الله يسألُه عن قبيلة قبيلة، فقال له: أين نحن؟ فقال: في بني سلمة[3]. فقال: سلمنا. ثم أتى على بني ناجية،

(١) في (ب) و(خ): فما. والتصويب من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٠٩ .

(٢) في (خ): اخترتك. والمثبت من (ب). وعبارة الطبري ٥/ ٥٠٩ : إن أبي كان أوصاني إن احتجت إلى الهرب يوماً أن أختاركم. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٧ .

(٣) في «تاريخ» الطبري ٥/ ٥١٠ : بني سُليم.

فقال: أين نحن؟ فقال: في بني ناجية. فقال: نَجَوْنا إن شاء الله تعالى. وعرفه رجلٌ منهم فرماه بسهم، فوقع في عمامةِ ابنِ زياد. ومضى به الحارث حتى أنزله دار نفسه في الجهاضم.

ثم مضى الحارث إلى مسعود[١] بن عَمرِو بن عديّ، فلمَّا رآه مسعود قال: يا حارِ، قد كنَّا نتعوَّذُ من شرِّ طوارق الليل[٢]، فنعوذُ بالله من شرِّ ما أتيتَنا به. فقال الحارث: ما طَرَقْتُك إلا بخير، وقد علمتَ أنَّ قومَك أَنْجَوْا زياداً فوَفَوْا له[٣]، فصارت مَكْرُمةً لهم في العرب يفتخرون بها، وقد بايعتُم عُبيدَ الله على الرِّضَى، وله قبلَ هذه بيعةٌ في أعناقكم. فقال مسعود: يا حارِ، أتَرَى لنا أنْ نُعادِيَ أهل مِصرِنا في عُبيد الله، وقد أَبْلَيْنا في أبيه ما أبلينا، ثم لم يُكافئنا، ولم يشكرنا. فقال له الحارث: إنَّه لا يُعاديك أحدٌ على الوفاء بالبيعة حتى تُبلغَه مأمنَه[٤].

وقيل: إنَّ عُبيد الله قال له في الطريق: يا حارث، إنك قد أحسنتَ وأجملت، فهل أنت صانعٌ ما أُشيرُ به عليك؟ قال: نعم. قال: قد عرفتَ منزلةَ مسعود بنِ عَمرو في قومه، وشرفَه وسنَّه وطاعةَ قومه له، فهل لك أن تذهب بي إلى داره، فأكونَ في وسط الأَزْد؟ فإنك إنْ لم تفعل صدعَ عليك أمرُ قومك. قال الحارث: قلتُ: نعم. فانطلقتُ به، فما شعرَ مسعود حتى دخلنا عليه وهو جالس وبين يديه نار تُوقد، فلما نظر في وجوهنا عرَفَنا، فقال: إنه قد كان يتعوَّذ من طوارق السوء، وإنكما من طوارق السوء. قال: فقلتُ له: أفتُخرجُه بعد ما دخل عليك؟! قال: فأمره، فدخل بيتَ عبد الغافر بن مسعود، ثم ركب مسعود من ليلته ومعه جماعة[٥] من قومه، فطافوا في الأزد فقالوا:

(١) في (ب) و(خ): ابن مسعود وهو خطأ، والمثبت من «تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٦٨ .

(٢) في (خ): الليل والنهار، والمثبت من (ب). وهو كذلك في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٠ .

(٣) في (ب) و(خ): وقوله، بدل: فوفوا له. والمثبت من «تاريخ» الطبري.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٩ـ٥١٠ . وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٧ـ٤٤٨ .

(٥) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٦٨ ؛ و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥١١ : الحارث وجماعة.

إنّ ابن زياد قد فُقد، ولا نأمنُ أن تَلَطَّخُوا به، فأَصْبِحُوا في السلاح. وأصبحَ الناس فقالوا: ما ابنُ زياد إلا في الأَزْد[(١)].

فأرسل شقيق بن ثور إلى مسعود بن عَمرو يقول: احذر الفتنة، وأَخْرِجْ ابنَ زياد.

وكان ابن زياد وأخوه عَبْدُ الله عند مسعود، وبلغَهما، فقال عبد الله: واللهِ لا نخرجُ عنكم، فقد أجرتُمونا وعقدتُم لنا عقد الذِّمَّة، فلا نخرج حتى نُقتل بينكم، فيكونَ عاراً عليكم إلى يوم القيامة.

وقيل: إن الحارث لم يكلِّم ابنَ عَمرو في ابنِ زياد، ولكنّه أمرَ عُبيد الله، فحملَ معه مئة ألف درهم، فأتى بها أمَّ بِسْطام امرأةَ مسعود - وهي بنت عمِّه - ومعه عُبيد الله وعَبد الله ابنا زياد، فاستأذنَ عليها، فأذنَتْ، فقال لها الحارث: قد أتيتُكِ بأمر تَسُودين به نساءك، وتبنين[(٢)] به شرف قومك، وتتعجَّلين عيناً هي لك خاصة، هذه مئةُ ألف درهم، خُذِيها فهي لك، وضُمِّي إليكِ عَبدَ الله وعُبيد الله. فقالت: أخافُ أن لا يقبله مسعود، فقال: اجعلي عليهما ثوباً، وأدخليهما في الفراش بينكِ وبين مسعود ففعلت[(٣)].

فلما رأى مسعود ابنَ زياد قال له: قد أجارتني بنتُ عمِّك، وهذا ثوبُك عليّ وطعامُك في بطني. فسكتَ، وأخذَت المال. فلم يزل في دار مسعود حتى قُتل مسعود[(٤)].

وكان مسعود جميلاً يسمى القمر لجماله، وأقام ابنُ زياد في داره أربعين يوماً، فلما قُتل مسعود هرب ابن زُياد إلى الشام. ويقال: إنَّ ابن زياد استخلفَه على البصرة لما هرب.

---

(١) المصدران السابقان.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٣ : وتُتِمِّين.

(٣) قوله: فقال اجعلي عليهما ثوباً... إلى هذا الموضع من (ب)، وليس في (خ). وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٣ : فقال الحارث: ألبسيه ثوباً من أثوابي، وأدخليه بيتك، وخلّي بيننا وبين مسعود. وفي «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٨ : فأدْخَلَتْه حَجلَتَها وألبَسَتْه ثوباً لزوجها.

(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٨ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥١٣ .

واختلفوا في قتل مسعود؛ قال مَعْمَر: قتلَه بنو تميم في حرب وقعت بينهم في هذه الأيام سببها لطمةٌ لطمها رجلٌ من الأزد رجلاً من بني تميم، فقُتل من الفريقين ألوفٌ من القبائل، وخرج ابنُ زياد هارباً إلى الشام، وطلبه أهلُ البصرة، ففاتَهم، فقدم الشام ولم يُبرموا أمراً، فأشار على مروان بأنْ يدعوَ إلى نفسه، وأنْ يطلبَ الخلافة، فقبل من رأيه.

وأمَّا أهلُ البصرة؛ فاختاروا عبدَ الله بنَ الحارث بن عبد المطلب، وأمُّه هند بنتُ أبي سفيان، ويلقَّب بَبَّهْ. ومال قومٌ إلى عبد الله بن الأسود الزُّهريّ، وكان أهلُ البصرة قد فوَّضوا أمرَهم في الاختيار إلى قيس بن الهيثم السُّلَميّ، ونُعمانَ بنِ صُهْبان الراسبيّ. فاختارَ النعمانُ بَبَّهْ، وقال: إن هذا من بني عمّ رسول الله ﷺ، وأمُّه بنتُ أبي سفيان، فإنْ كان المُلك فيهم[١]، فهو ابنُ أُختهم[٢]. فرضُوا به[٣].

وأمَّا أهلُ الكوفة؛ فطردوا عمرَو بنَ حُرَيْث، وأجمعوا على عامر بن مسعود، وكانوا قد اتفقوا على عُمر[٤] بنِ سعد بن أبي وقَّاص، فجاءت نساءُ هَمْدان ورجالُهم يبكون حسيناً رضي الله عنه قد تقلَّدُوا سيوفَهم وقالوا: لا واللهِ ولا كرامة. فطردوا ابن سعد ووَلَّوْا عامرَ ابنَ مسعود، وكتبوا إلى ابن الزُّبير، فأقرَّه، وأقرَّ بَبَّهْ[٥].

وخطب عامر بن مسعود يوماً فقال: إنَّ لكل قوم أشربةً ولذاتٍ، فاطلبوها في مظانِّها واكسروها بالماء، وتوارَوْا[٦] عني بهذه الجدران، وإني قد تزوَّجتُ، فأعينوني بأُعطياتكم شهراً. فأخذ من الناس أرزاق شهر، فقال عبد الله بن همَّام السَّلُولي:

---

(١) يعني في قريش.
(٢) يعني أن «ابن أخت القوم منهم» كما في الحديث، ووقع في (ب) و(خ): أخيهم، وهو خطأ.
(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٤٩-٤٥٠، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٥١٣-٥١٤.
(٤) في (ب) و(خ): عمرو، وهو خطأ.
(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٥٢٤.
(٦) في (ب) و(خ): ونوروا. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٨ والخبر فيه بنحوه.

اشرَبْ شرابَك وانْعَمْ غيرَ محمودِ[١] واكسره بالماء لا تعص ابنَ مسعودِ
إن الأميـر لـه فـي الـخـمـر مـأربـةٌ فاشرَبْ هنيئاً مريئاً غير تصريدِ[٢]

وبلغ ابنَ الزبير، فعزلَه بابن مُطيع.

وفيها بُويعَ ابنُ الزُّبير بالخلافة بمكّة، فبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله والخلفاءِ بعدَه، وأوَّلُ من بايعَه مصعبُ بنُ عبد الرحمن بن عوف. فقال الناس: هذا أمرٌ فيه صعوبة. وبايعَه عبيدُ الله بنُ علي بن أبي طالب، وعبدُ الله بنُ جعفر. وأراد ابنَ عُمر ومحمد بنَ الحنفية وابنَ عبَّاس على البيعة، فأبَوْا[٣].

وولّى ابنُ الزبير أخاه مصعب بنَ الزبير على المدينة، فبايعوه، وبعث الحارث بن عبد الله بن ربيعة إلى البصرة فبايعوه، وبعث ابن مطيع إلى الكوفة فبايعوه، وبعث عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم إلى مصر، فبايعوه، وبعث إلى اليمن بَحِير بن رَيْسَان، وكان عليها والياً ليزيد، فجاءته بيعتُه، وبعث إلى خُراسان، فبايعوه[٤]، وإلى الضحَّاك ابن قيس الفهري، فأخذ له البيعة على أهل الشام، واستَوْسَقَت له البلاد كلُّها ما خلا طائفةً من أهل الشام كان فيها مروان وأهل بيته، وأهل الأردن وفلسطين.

وبُويع لسبع ليال بقين من رجب سنة أربع وستين بعد أن أقام الناس جمادى الأول والآخِر وأياماً من رجب بغير إمام.

وكان ناتل بن قيس الجُذامي عند عبد الله بن الزُّبير، فكتب له عهده على الأردنّ وفلسطين، فخرج إليها، وكان على الأردن حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي؛ ولّاه إيَّاها معاوية بن أبي سفيان، ثم أقرَّه عليها يزيد، فأرسل إليه ناتل الجُذامي: إما أن تخرجَ من بلاد قومي ـ يعني جُذاماً ـ وإلا قاتلتك[٥].

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٨، و«الكامل» ٤/ ١٤٣: محسود.
(٢) التصريد في السَّقي: دون الرَّيّ. ووقع في «الكامل»: مرصود.
(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩١ و٦/ ٥.
(٤) والذي دعا له بخراسان عبد الله بن خازم السلمي كما في المصدر السابق.
(٥) أنساب الأشراف ٥/ ٢٨٨.

ولم يكن لحسان به طاقة، فنزلَ حسان طبريَّة، وأظهرَ الدعاء لخالد بن يزيد بن معاوية.

ثم سار حسان فنزل الجابية، وانضافَ إليه الحُصين بن نُمير السَّكوني، ومالك بن هُبيرة، ورَوْح بن زِنْباع الجُذامي، وزِمْل بن عَمرو العدويّ، وعبد الله بن مَسْعَدة الفَزَاريّ، وعبد الله بن عِضاه الأشعريّ، ومروانُ بن الحكم، ومعه ابنُه عبد الملك، وهو يومئذ ابن ثمانٍ وعشرين سنة، ومروان لا تمرُّ بباله الخلافة ولا يفكّر فيها، وكان معهم خالدُ بن يزيد [بن معاوية] وعَمْرو بن سعيد الأشدق. وأجابهم قومٌ من البلقاء وأذرعات[1].

وكان الضحاك بن قيس بدمشق، والنعمان بن بشير بحمص، وزُفر بن الحارث بقِنّسرين قد ضبطوا الشام لابن الزُّبير، وذلك بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية ولم يبق بالشام من عَصِيَ على ابنِ الزُّبير إلا حسانُ بن مالك بن بَحْدَل، ومن سمَّينا معه، وأخذ ناتلُ الجُذامي البيعةَ لابن الزبير على أهل فلسطين.

(١) المصدر السابق ٥/ ٢٨٩ .

الباب الرابع

في ولاية مروان بن الحكم

ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية اختلف الناس بالشام، فكان أوَّلَ من خالف من أمراء الأجناد النعمانُ بنُ بشير بحمص، دعا إلى ابن الزبير، ثم الضحَّاك بن قيس الفِهْري؛ دعا بدمشق سرّاً لابنِ الزُّبير، ولم يظهر ذلك لمكان بني أمية وكلب.

وبلغ حسانَ بنَ مالك بن بَحْدَل الكلبيّ وهو بفلسطين، وكان هواه في خالد بن يزيد؛ لأن يزيد كان ابنَ أخته ميسون، فأمسك، وكتب إلى الضحَّاك بن قيس كتاباً يعظِّم فيه بني أمية ويذكر بلاءهم عنده، ويذمُّ ابنَ الزبير، ويذكر خلافَه ومفارقتَه الجماعة، ويدعوه إلى أن يُبايع لرجلٍ[1] من بني حرب، وبعث بالكتاب مع ناعصة[2] بن كريب الطابخي، وأعطاه نسخة الكتاب، وقال له: إن قرأ الضحَّاك الكتاب على الناس؛ وإلّا؛ فاقرأْ أنت نسختَه عليهم. وكتب إلى بني أمية يُعلمهم ما كتب به إلى الضحَّاك، وما أمرَ به ناعصة، وأمرَهم أن يحضروا ذلك.

فقرأ الضحَّاك كتاب حسان ولم يقرأه على الناس، فكان في ذلك اختلاف وكلام، فَسَكَّنَهم خالد بن يزيد[3].

(١) في (ب) و(خ): الرجل، والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٤ .

(٢) في (خ) (في الموضعين)، وفي «تاريخ دمشق» (مصورة دار البشير) باعضة، وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٤ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٢ ، و«مختصر تاريخ دمشق» ١١/ ١٣٢ : ناغضة، والمثبت من (ب) (في هذا الموضع) وهو كذلك في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٦ .

(٣) قوله: «فكان في ذلك اختلاف وكلام، فسكّنهم خالد بن يزيد» سيتكرر بعده مفصَّلاً. والسبب أن مختصر الكتاب جمع بين روايتين، فالكلام حتى هذا الموضع من ترجمة الضحاك بن قيس في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٣-٥٤٤ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤١٦ (مصورة دار البشير). والكلام بعده من رواية أخرى، هو بنحوه في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٦-٢٩٧ و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٢-٥٣٣ . وينظر «تاريخ دمشق» ٨/ ٤١٦ (مصورة دار البشير)، أو «مختصره» ١١/ ١٣٢ .

فقام ناعصة، فقرأ نسخة الكتاب على الناس بمشهد من بني أمية، فقام الوليد بنُ عتبة بن أبي سفيان، وسفيان بن الأبرد، ويزيد بن أبي النّمس، وغيرهم، فكذَّبوا ابنَ الزُّبير ونالوا منه، وقالوا: خلع خليفتين. وأَثْنَوْا على حسان.

وقام عمرو[(١)] بن زيد الحكمي، فشتم حساناً، وأثنى على ابنِ الزُّبير، وأمرَ الضحَّاك بالوليد بن عُتبة ومن شتمَ ابنَ الزُّبير، فحُبسوا.

وثار جماعة إلى عمرو بن زيد الحكمي، فضربوه، فقام خالد بن يزيد، فصعد مِرْقاتَين من المنبر والضحَّاك في أعلاه، فتكلَّم خالد بكلام وجيز سكَّن الناس[(٢)].

ونزل الضحاك، فصلَّى بالناس الجمعة، وجاءت كلب فأخرجوا سفيان بن الأبرد، وجاءت غسان فأخرجوا يزيد بن أبي النمس فقال الوليد بن عتبة: لو كنتُ من كلب أو غسان لأُخرجت. فجاء خالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية فأخرجوه[(٣)] من السجن، وكان معهما أخوالهما من كلب. فكان أهل الشام يسمُّون ذلك اليوم يوم جَيْرُون الأول[(٤)].

ودخل الضحَّاك دارَه، ومكثوا أياماً[(٥)]، فخرج الضحَّاك يوماً، فصلَّى بالناس صلاة الصبح، وذكر يزيد بن معاوية فسبَّه، فقام إليه رجل من كلب، فضربه بِعَصاً، واقتتلَ الناس بالسيوف، ودخل الضحاك دار الإمارة.

وافترق الناس ثلاث فِرَق؛ فرقة زُبيريَّة، وفِرْقة بَحْدَلِيَّة؛ هواهم مع بني حرب، وفرقة لا يُبالون لمن كان الأمر؛ لبني أمية أو لغيرهم، وأرادوا الوليد بنَ عتبة بن أبي سفيان على البيعة، فأبى، وهلك في تلك الليالي.

---

(١) كذا في (خ)، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٢ . وفي (ب) و«أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٦ : عمر. وكذا في الموضع الآتي.

(٢) سلف هذا المعنى، وينظر الكلام قبل تعليق.

(٣) كذا في (ب) و(خ). والجادة: فأخرجاه.

(٤) أنساب الأشراف ٥/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ . ولم ترد كلمة: الأول، في «أنساب الأشراف». وجاء فيه بعده: وجَيْرون موضع بدمشق عند المسجد.

(٥) رجع الكلام من هذا الموضع إلى ابن سعد وابن عساكر، وهو بنحوه في المصدرين السابقين.

وأرسل الضحاك بن قيس إلى بني أمية، فأتاه مروان وعمرو بن سعيد، وخالد وعبد الله ابنا يزيد بن معاوية، فاعتذرَ إليهم، وذكرَ حُسن بلائهم عنده، وأنه لم يُرد شيئاً يكرهونه، وقال: اكتبوا إلى حسان بن مالك بن بَحْدَل حتى ينزل الجابية، ثم نسير إليه، فنستخلف رجلاً منكم.

فكتبوا إلى حسان، فأقبل حتى نزل الجابية، فلما استقلَّت[1] الرايات متوجّهة قال معن بن ثور[2] السُّلمي ومن معه من قيس للضحاك: دَعَوْتَنا إلى بيعة رجل من أحزم الناس رأياً، وأفضلهم ديناً، فلما أجبناك خرجتَ بنا إلى هذا الأعرابيّ من كلب لتُبايع ابنَ أخته. قال: فتقولون ماذا؟ قالوا: تنصرفُ، وتُظهر البيعة لابن الزبير. ففعل الضحاك، وبايعه الناس لابن الزبير.

وبلغ ابنَ الزبير، فكتب للضحاك بعهده على الشام، وكتب الضحاك إلى أمراء الأجناد ممن دعا إلى ابن الزبير فأتوه.

فلما رأى ذلك مروان خرج من الشام يريد ابنَ الزبير ليبايعه ويأخذ منه أماناً لبني أمية، وخرج معه عَمرو بن سعيد بن العاص، فلما كانوا بأذرعات لقيهم عُبيد الله بنُ زياد مقبلاً من العراق، فسألهم عن حالهم، فأخبروه، فقال لمروان: سبحان الله! أرضيتَ لنفسك [بهذا] وأنت شيخ قريش وسيِّد بني عبد مناف أن تُبايع لأبي خُبيب؟! واللهِ لأنتَ أولى بها منه. فقال له مروان: ما الرأي؟ قال: أن ترجعَ وتدعو إلى نفسك، وأنا أكفيك قريشاً. وقال عمرو بن سعيد: وأنا أكفيك بني أمية.

فرجع مروان وعَمرو بنُ سعيد إلى الشام، فنزلا تدمر، ودخل عُبيد الله بن زياد دمشق، فنزل بباب الفراديس، وكان يتردَّد إلى الضحاك كلَّ يوم يسلِّم عليه، فقال له يوماً: يا أبا أُنيس، العجبُ منك وأنت شيخُ قريش، تدعو لابن الزُّبير، وتدعُ نفسك، وأنت أرضى عند

---

(١) في (ب) و(خ): استقبلت. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٤ ، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤١٦ (مصورة دار البشير).

(٢) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٧ ، و«تاريخ الطبري» ٥/ ٥٣٣ : ثور بن معن بن يزيد. قال البلاذري: ويقال: معن بن يزيد.

الناس منه! فدعا إلى نفسه، ورجع عن ابن الزبير ثلاثة أيام، فقال الناس: دَعَوْتَنا إلى بيعة رجل، وأخذتَ عهودنا، ثم دعوتَ إلى خلعه من غير حَدَث! وامتنعوا عليه[١].

فلما رأى ذلك عاد إلى ابن الزبير، فأفسده ذلك عند الناس وغيَّرهم عليه، ثم قال له ابنُ زياد: يا أبا أُنيس، مَنْ أرادَ ما أردتَ ما ينزل المدائن والحصون، ابْرُزْ عن دمشق، واجمع الناس، وتصفَّح الخيل. وكان ذلك خديعةً من ابن زياد.

فخرج الضحاك، فنزل المَرْج، وبقي عُبيد الله بدمشق، ومروان وبنو أمية بتدمر، [وخالد] وعَبدُ الله ابنا يزيد بالجابية مع حسان [بن مالك بن بَحْدَل]، فكتب عُبيد الله إلى مروان: ادْعُ إلى نفسك، ثم سِرْ إلى الضحاك فقد أَصْحَرْتُهُ لك[٢].

فدعا مروان بني أمية، فبايعوه[٣]، وتزوَّج أمَّ خالد بن يزيد. [وخرج عُبيد الله][٤] فنزل المرج، وكتب إلى مروان أن أَقْبِل.

وقيل: كان الناس بالجابية أهواؤهم مختلفة، فكان مالك بن هُبيرة السَّكوني يهوَى هوى أولاد يزيد، والحُصين بن نُمير يهوى أن تكون الخلافة لمروان. فقال [مالك] للحصين[٥]: هلمَّ فلنبايعْ هذا الغلام ـ يعني خالد بن يزيد ـ فنحن ولَدْنا أباه، وهو ابنُ أُختِنا، وقد عرفتَ أن أباه حملنا على رقاب العرب[٦]: فقال حُصين: لا لعَمرو الله، لا تأتينا العرب بشيخ، ونأتيها بصبيّ. فقال مالك: هذا ولمَّا تَرِد تِهامة[٧]، ولا بلغَ الحِزام الطُّبْيَيْنِ[٨]، واللهِ لئن استخلفتَ مروان وآل مروان لَيَحْسُدُنَّك على سَوْطك

(١) وقع خرم في (ب) بدءاً من هذا الموضع، وحتى فقرة وقعة مرج راهط.

(٢) أي: أخرجتُه إلى الصحراء. وفي «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٤٦، و«تاريخ دمشق» ٨/ ٤١٧: أصحر لك.

(٣) في (خ) (والكلام منها): فدعا مروان إلى نفسه وبايعوا بني أمية... والمثبت من المصدرين السابقين. وما سلف بين حاصرتين منهما.

(٤) ما بين حاصرتين من المصدرين السابقين.

(٥) في (خ): فقال الحصين. وهو خطأ. والكلام في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٣٥ـ٥٣٦.

(٦) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٣٦: فقد عرفتَ منزلتنا كانت من أبيه، فإنه يحملنا على رقاب العرب غداً.

(٧) هو مَثَلٌ، ذكره السيوطي في «المُزهر» ١/ ٤٨٩ بلفظ: هذا ولما تردي تهامة. قال: يُضرب لمن يجزع قبل وقت الجَزَع.

(٨) قوله: بلغ الحزام الطُّبْيَيْنِ، مَثَل أيضاً، ويقال أيضاً بلفظ: جاوز الحزام الطُّبْيَيْن. قال الميداني في «مجمع الأمثال» ١/ ١٦٦: الطُّبْيُ للحافر والسِّباع: كالضِّرع لغيرها. يُضرب هذا عند بلوغ الشدة منتهاها. وينظر «الفائق» ٢/ ١٠٣.

وشِراك نعلك وظلّ شجرة تستظلُّ بها. إنَّ مروان أبو عشرة وأخو عشرة وعمُّ عشرة[1]، فإن بايعتُموه صرتُم عبيداً لهم، ولكن عليكم بابن أختكم خالد[2].

وقال أهل الأردنّ وغيرهم: يا مروان، أنت شيخ كبير، وابنُ يزيد غلام، وابنُ الزُّبير كهل، والحديدُ إنما يقرع بعضُه بعضاً[3]. وقال الحُصين: إنّي رأيتُ في المنام قنديلاً معلَّقاً من السماء، وأنَّ مَنْ يمدُّ عنقه إلى الخلافة تناوله. فلم ينله أحد، ومدَّ يده مروان فنالَه.

واجتمع رأيُهم على مروان، فقام رَوْحُ بن زِنْباع خطيباً، فقال: أيُّها الناس، إنكم تذكرون عبد الله بنَ عمر للخلافة، وإنَّه لا تُنكر صحبتُه لرسول الله ﷺ وقَدَمُه في الإسلام، ولكنَّه رجل ضعيف، ولا يصلح لأمر أمَّة محمد ﷺ الضعيفُ.

وإنكم تذكرون ابنَ الزُّبير وابنَ حواريّ رسول الله ﷺ وابن أسماء بنتِ أبي بكر الصدِّيق ذاتِ النطاقين، وإنه كما تذكرون في قدمه وفضله وعبادته، ولكنه ألحدَ في الحرم، وسفكَ الدماء، وخلع خليفتين؛ يزيد و[ابنَه] معاوية، وشقَّ عصا المسلمين، وليس يصلح لأمرِ أمَّةِ محمد ﷺ مَنْ يكون كذا.

وأمَّا مروان بنُ الحَكَم فواللهِ ما كان في الإسلام صَدْع قطّ إلا كان مروان ممَّن يَشْعَبُ ذلك الصَّدْع[4]، وهو الذي قاتلَ عن أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان يومَ الدَّار[5].

وكان هَوَى حسان بن مالك بن بَحْدَل مع ابن أخته خالد بن يزيد [فقال له ابن عِضاه الأشعريّ: أراك تريد هذا الأمر لخالد بن يزيد] وهو حَدَث السّنّ. فقال له حسان: إنَّه واللهِ لمعدن المُلك والرِّياسة. فقال ابن عضاه لأصحابه: قُوموا بنا إلى خالد. فجاؤوا،

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٣٦: أبو عشيرة، وأخو عشيرة، وعمّ عشيرة. وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٥-٥٣٦.

(٣) المصدر السابق ٥/ ٥٣٤.

(٤) أي: يَلُمُّه ويُصلحه (وهو من الأضداد؛ فمعنى شَعَبَ أيضاً: تفرّق).

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٦. وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٩.

فرأَوْه نائماً متصبِّحاً، فقال ابنُ عِضاه: يا قوم، أتجعلون نحورَنا للأسنَّة والسهام لهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة؟!

ثم أتى مروانَ، فألفاه يقرأ القرآن والمصحف بين يديه، وفرسه مربوط إلى جانب فسطاطه، ورُمْحُه مركوز على الفسطاط، ودِرعُه وسلاحُه إلى جانبه، فقال ابن عضاه: هذا واللهِ المُجِدُّ المُشَمِّر الحازم الذي يصلحُ لهذا الأمر، وهو شيخ قريش وابنُ عمّ الخليفة المظلوم.

وجاء إلى حسان، فأخبره الخبر، فقال: أنا منعتكم[1]؟ وإنما كرهتُ أن يخرج هذا الأمر عن بني أمية إلى ابن الزبير[2].

وأجمعَ رأيُ القوم على بيعة مروان، وبعده لخالد، [ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعد خالد] على أنَّ إمرة دمشق لعمرو بن سعيد، وإمرة حمص لخالد بن يزيد.

فدعا حسانُ خالدَ بنَ يزيد وقال له: يا ابن أخت، إن القوم قد أَبَوْك لحداثة سنِّك، وإني واللهِ لا أُريد هذا الأمر إلا لك ولأهل بيتك، وما أُبايع مروان إلا نظراً لكم. فقال خالد بن يزيد: عَجَزْتَ عنا. فقال: لا والله، ما عجزتُ عنك، ولكن الرأيَ لك ما رأيتُ. ثم دعا مروان وقال له: يا مروان، واللهِ ما كلُّ الناس يرضى بك. فقال مروان: إنْ يُرِدِ [الله] أنْ يُعطِيَنيها فلا مانع له، وإن منعها عني لم يقدر أحدٌ أن يُعطِيَنيها. فقال حسان: صدقتَ[3].

واختلفوا في بيعته على أقوال: أحدُها: في المحرم سنة خمس وستين، والثالث: يوم الخميس في رجب سنة أربع وستين[4].

وسار مروان إلى دمشق لقتال الضحَّاك، وسار حسان إلى الأردنّ.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٢٩٠ : رأيي لرأيكم تبع، بدل قوله: أنا منعتكم.

(٢) ينظر المصدر السابق ٥/ ٢٨٩-٢٩٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٧ . وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) كذا وقع في (خ) (والكلام منها فقط)، فلم يرد فيها إلا قولان. وفي قول أنه بُويع لمروان في ذي القعدة من سنة (٦٥). وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٥ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٤ (مع ص ٥٣٧)، و«تاريخ دمشق» ٦٦/ ٤٤٦-٤٤٨ (طبعة مجمع دمشق).

حسان بن مالك بن بَحْدَل الكلبي

هو أخو ميسون أمّ[١] يزيد بن معاوية، وكنيتُه أبو سليمان، وكان زعيم بني كلب.

شهد مع معاوية صفِّين، وكان يومئذٍ على كلب، وكان له قَدْرٌ وجاه عند بني أمية.

وقال البلاذُري[٢]: سُلِّم عليه بالخلافة أربعين ليلة، ثم سلَّمها إلى مروان.

وكانت داره بدمشق المعروف بقصر [ابن] أبي الحديد، ويقال له: قصر البحادلة، أقطعه إيَّاه معاوية بن أبي سفيان[٣].

وإليه يُنسب دير [ابن] بَحْدَل من إقليم بيت لِهْيا[٤] من غوطة دمشق، أقطعه إياه يزيد ابن معاوية، وولَّاه يزيد قِنّسرين والجزيرة[٥].

وهو القائل في الخلافة:

فإن لم يكن منا الخليفةُ نفسُه ... فما نالها إلا ونحن شهودُ

ولم يذكر تاريخ وفاته.

وقعة مَرْج راهط[٦]

وراهط اسم رجل كان ينزلُه في الجاهلية.

---

(١) في (خ): بن، بدل: أمّ! وسلف في سياق الكلام (الصفحة السابقة) أن خالد بن يزيد ابنُ أخته. ونسبَ المرزوقي ميسون في «شرح الحماسة» ٢/ ٦٥٠ فقال: ميسون بنت مالك بن بحدل، ونُسبت في «تاريخ دمشق» ص ٣٩٧ (تراجم النساء) وغيره: ميسون بنت بحدل. وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١/ ٦٧٣: كان حسان يريد أن يبايع لابن أخته خالد بن يزيد، ويزيدُ: ابنُ ميسون، وميسون: بنت بَحْدَل. اهـ. وذكر ابن العديم في «تاريخ حلب» ٥/ ٢٢٣٥ أيضاً أن ميسون عمة حسان.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ٣٠٠.

(٣) ينظر «تاريخ دمشق» ٤/ ٣٩٤ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٦/ ٣٠٨ وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) في «تاريخ دمشق» ٧/ ٣٤٨ (مصورة دار البشير): بيت الآبار. وهي من غوطة دمشق، كما في «معجم البلدان» ١/ ٥١٩.

(٥) قوله: وإليه يُنسب دير ابن بحدل... إلى هذا الموضع، يتعلق بأخيه سعيد بن مالك بن بحدل، كما في المصدر السابق. وما بين حاصرتين منه.

(٦) هو موضع شرقيّ دمشق بعد مرج عذراء.

وسار مروان ومعه خمسة آلاف، وجاءته السكاسك وكلب والموالي وغسان، فصار في أحد عشر ألفاً، وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد، وعلى ميسرته عُبيد الله بن زياد.

وجاء أمراء الأجناد إلى الضحَّاك، فصار في ثلاثين ألفاً[١]، وجعل على ميمنته زياد ابن عمرو العقيلي، وعلى ميسرته زُفر بن الحارث.

وكان يزيد بن أبي النّمس الغساني مختبئاً بدمشق، فلما وصل مروان إلى المرج ثار بها، وثار معه عَبيدُ أهل دمشق، وأخرج[٢] عاملَ الضحاك منها، وغلب على الخزائن وبيت المال، وبايع لمروان، و أمدَّه بالمال والرِّجال والسلاح، فكان ذلك أوَّلَ فَتْحٍ فُتح لبني أمية. فأقاموا يقتتلون عشرين يوماً[٣].

وقيل: أقبلَ مروان من تدمر في خمسة آلاف، وأقبل عبَّاد بن زياد من حُوَّارِين في ألفين من مواليه وغيرهم، وأمدَّ النعمانُ بنُ بشير الضَّحَّاك من حمص بشُرحبيل بن ذي الكَلاع، وأقبل زُفر بن الحارث بعسكر قِنّسرين لنُصرة الضحَّاك [فكان الضحَّاك في ثلاثين ألفاً] وصار مروان في ثلاثة عشر ألفاً؛ أكثرهم رجَّالة، ولم يكن في عسكر مروان سوى ثمانين عتيقاً[٤]؛ منها أربعون لعبَّاد بن زياد، وأربعون لسائر الناس، فأقاموا بالمرج عشرين يوماً يقتتلون، فقال ابن زياد لمروان: الحرب خُدْعة، وقد علمت شجاعةَ قيس، وإنك لا تنالُ منهم شيئاً إلا بمكيدة، فكِدْهُم. قال: وكيف أصنع؟ قال: ادعُهم إلى الموادعة، فإذا كفُّوا عن القتال فكُرَّ عليهم وهم غارُّون[٥].

فبعث إلى الضحاك فأمسك عن القتال، والقيسيةُ تطمع أن يبايع الضحاك لمروان.

وأعدَّ مروان أصحابه، فلم يشعر الضحاك وأصحابُه إلا بالخيل قد شدَّتْ عليهم، ففزع الناس إلى راياتهم وقد غَشَوْهم على غير عِدَة[٦].

(١) من قوله: وجعل على ميمنته عمرو بن سعيد.. إلى هذا الموضع من (ب) وسقط من (خ).
(٢) في (ب) و(خ): فلما خرج. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٧ .
(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٧ .
(٤) أي: فرساً. يقال: فرس عتيق، أي: جواد رائع. «مختار الصحاح» (عتق)..
(٥) جمع غارّ، أي: غافلون.
(٦) تاريخ دمشق ٨/ ٤١٧ (مصورة دار البشير) أو مختصره ١١/ ١٣٤ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

فاقتتلوا، وترجَّل مروان ومن معه، وصاح الضحَّاك: اغد[١] يا ابن الزرقاء. قال مروان: نعم. وكان قد تفرَّق عن الضحاك أصحابُه، فترجَّل أيضاً، وترجَّلت القيسيَّة معه، وقاتلت قتالاً لم يُعهد مثلُه، وقُتل من القيسيَّة مقتلةٌ لم يُقتل مثلُها في موطن قطّ، وقُتل مع الضحَّاك يومئذٍ ثمانون رجلاً من أشراف قيس ممَّن كان يأخذ في العطاء ألفين، وقُتل من أصحاب مروان خلقٌ عظيم لم يُقتل مثلُهم من القبائل[٢].

وجُرح الضحاك، فسقط إلى الأرض، ولم تعلم به القيسيَّة، ومرَّ به رجل من كلب، فحزَّ رأسَه، واسم الرجل زُحْمَة[٣] بن عبد الله، والذي قتله مالك بن يزيد[٤] الكلبي من بني عُليم.

وجاء زُحْمة برأسه إلى مروان، فقال له: أنتَ قتلته؟ قال: لا. فأعجبَه صدقُه، وأحسنَ إليه[٥].

ولما حضر بين يدي مروان رأسُ الضحاك أُسقِطَ في يده، وقال: الآن حين كبِرَتْ سنِّي، ورقَّ عظمي، وصِرْتُ في مثل ظِمْءِ الحمار[٦]؛ أقبلتُ بالكتائب أضربُ بعضَها ببعض[٧]!.

ولم يضحك رجالٌ من قيس بعد يوم المَرْج حتى ماتوا، ولم يحضرها عبد الملك بن مروان تورُّعاً.

وكانت الوَقْعة في ذي الحجة سنة أربع وستين في منتصفه. وقيل: في تمامه.

---

(١) كذا في (ب) و(خ). ولعلها: أغدراً.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٧.

(٣) في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٤، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٣٨: زُحنة. وذكر ابن ماكولا الاسمين في «الإكمال» ٣/ ٣١٦ و٤/ ٣٦، وذكر الاسمين أيضاً صاحب «القاموس» ذكره في (زحم - زحن). وتحرف في (ب) و(خ) إلى: وحمة.

(٤) وقع خرم في (ب) بدءاً من هذا الموضع، وحتى ص ٣٠٦ قبيل فقرة ذكر رواية يزيد بن معاوية للحديث.

(٥) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٨.

(٦) الظِّمْءُ، بالكسر: ما بين الشَّرْبَتيْن والوِرْدَيْن، وما بقي منه إلا ظِمْءُ الحمار، أي: يسير؛ لأنه ليس شيء أقصر ظمئاً منه. ينظر «القاموس المحيط» (ظمأ).

(٧) أنساب الأشراف ٥/ ٣٠١، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٣٨.

وكان بشر بن مروان يرتجز وبيده الراية ويقول:

إنَّ على الرئيس حقّاً حقَّا أن يخضب الصَّعْدَةَ أو تندقَّا[(١)]

واختلفوا هل شهد الوقعة زُفر بن الحارث الكلابي أم لا؟ ولحق زُفر بقرقيسيا [فلما انتهى إليها وعليها عِياض بن أسلم الجُرَشيّ - وكان يزيد بن معاوية ولّاه قرقيسيا - فحال عياض بين زُفر وبين دخول قرقيسيا] فقال زُفر: أحلفُ لك بالطلاق والعِتاق إذا دخلتُ حمَّامها خرجتُ منها. فأذنَ له في دخولها، فدخلَها ولم يدخل حمَّامها، وأخرجَ عِياضاً منها، وتحصَّن زُفر بها، وثابَتْ إليه قيس.

وخرج ناتل الجُذامي من فلسطين هارباً إلى ابن الزُّبير بمكة، وأجمع الناس على مروان، واستوسق له الشام، فولَّى عليه عمَّالَه[(٢)].

وقال أبو مِخْنَف: شهد زُفر بن الحارث يومَ المرج، فلما انهزم الناس؛ انهزم معه شابَّان من بني سُليم، وجاءت خيلُ مروان في طلبهم، فقالا له: انجُ بنفسك، فنحن مقتولان، فهرب زُفر وتركهما، حتى أتى قرقيسيا، فاجتمعت إليه قيس فرأَّسوه عليهم، فقال:

أريني سلاحي لا أبا لك إنني أرى الحربَ لا تزدادُ إلا تماديا
أتانيَ عن مروان بالغيب أنه مُقِيدٌ دمي أو قاطعٌ من لسانيا
ففي العِيس مَنْجاةٌ وفي الأرض مَهْرَبٌ إذا نحن رفَّعنا لهنَّ المثانيا
فلا تحسبوا أني[(٣)] تَغَيَّبْتُ غافلاً ولا تفرحوا إنْ جئتُكم بلقائيا
فقد يَنبُتُ المَرعَى على دِمَن الثَّرى وتبقى حزازاتُ النُّفوسِ كما هيا
أتَذْهَبُ كلبٌ لم تَنَلْها رماحُنا وتُتْرك قتلى راهطٍ هي ما هيا
لعمري لقد أبْقَتْ وقيعة راهطٍ لحسَّان[(٤)] صَدْعاً بَيِّناً متنائيا
أَبَعْدَ ابنِ عَمرٍو وابنِ مَعْنٍ تتابَعا[(٥)] ومَقْتَلِ همَّامٍ أُمَنَّى الأمانيا

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٩، وبنحوه في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٥. والصَّعْدَة: القناة المستوية.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ٥٣٩-٥٤٠ وما سلف بين حاصرتين منه، وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٧.

(٣) في المصدرين السابقين: فلا تحسبوني إنْ.

(٤) في «الأغاني» ١٩/ ١٩٦: لمروان.

(٥) في «الأغاني»: أبعد ابن صقر وابن عمرو تتابعا.

فَـلـم تُـرَ مـنّـي نَـبْـوَةٌ قـبـلَ هـذه ... فِـراري وتَـرْكـي صـاحـبـيَّ ورائـيـا
أَيَـذْهَـبُ يـومٌ واحـدٌ إنْ أسـأْتُـه ... بـصـالـح أيّـامـي وحُـسْـنِ بـلائـيـا
فلا صُلْحَ حتى تَنْحِطَ الخيلُ بالقَنا[1] ... وتـثـأرَ مـن نـسـوان كـلـبٍ نـسـائـيـا

فأجابه جوَّاس[2] [بن قعطل] فقال:

لـعـمـري لـقـد أبـقَـتْ وقـيـعـةُ راهـطٍ ... عـلـى زُفَـرٍ داءً مـن الـداء بـاقـيـا
مـقـيـمـاً ثَـوَى بـيـن الـضُّـلـوع مـحـلُّـهُ ... وبـيـن الحَشَا أعيا الطبيبَ المداويا
تُـبَـكِّـي عـلـى قـتـلـى سُـلـيـمٍ وعـامـرٍ ... وذُبـيـان مـعـذوراً وتُـبـكِـي الـبـواكـيـا
دعـا بـسـلاحٍ ثـم أحـجـمَ إذْ رَأَى ... سـيـوفَ جـنـابٍ والـطِّـوالَ الـمَـذَاكـيـا
عـلـيـهـا كـأُسْـدِ الـغـابِ فـتـيـانُ نَـجْـدَةٍ ... إذا أشرعوا نحو الطِّعان العواليا[3]

وقال البلاذُري: لما استوسقت لابن الزبير البلاد[4] غير طبريَّة والأردن، قال عَمرو ابنُ سعيد لمروان: ما يمنعُك من طلب الخلافة وأنت شيخُ قريش وكبيرُها وأحق بها من غيرك؟ فقال: ليس لي بالضحَّاك طاقة. قال: فانكح أمَّ خالد بن يزيد، فيصير موالي معاوية وأتباعه معك. قال: فدونك وإيَّاها. فأتاها عَمرو، فمازال يخدعُها حتى أجابت، فنكحَها مروان، وقويَ أمرُه.

وبعث إليه الضحَّاك، فقال: بايع ابنَ الزبير. فقال: اخرج إلى المَرْج حتى أشترط عليك شروطاً على رؤوس الملأ، ثم أبايعك[5].

وكان في نفس مروان أن يُبايع لابن الزبير، وخرجوا إلى المَرْج، فقال مروان لعمرو ابن سعيد: إذا سايرتُ الضحَّاك فاركب الفرس الفلاني ـ وكان سيِّىء الخُلُق؛ يَكْدُمُ مَنْ يقربُ منه، ويمشي معترضاً ـ ثم تتبيَّن[6] بيني وبين الضحاك، فإني سآمرك أن ترجع

(١) القَنَا: جمع قَناة، وهي الرُّمح. ونَحْطُ الخيل: صوتُها من الثِّقَل والإعياء. ينظر «القاموس».
(٢) في (خ): (والكلام منها): ابن جوّاس، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٥/ ٣١٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٤٢.
(٣) تاريخ الطبري ٥/ ٥٤١ـ٥٤٢، وينظر «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٠٩ـ٣١٠. ولم تجوَّد بعض الكلمات في (خ) (والكلام منها) فأثبتُّها من «تاريخ» الطبري. قوله: العَوالي: هو جمع العالية، وهي أعلى القَناة (الرُّمح).
(٤) في (خ): استقامت الأمر لابن الزبير البلاد. وهي عبارة مضطربة، والمثبت من «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٢٩.
(٥) في (خ) (والكلام منها): أو أبايعك. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٥/ ٣٣٠.
(٦) اللفظة غير واضحة في (خ) (والكلام منها) والمثبت من «أنساب الأشراف». وقوله: يكدم، أي: يعضّ.

وتركب غيره، فإذا رجعتَ فسِرْ إلى دمشق، وأغلق أبوابها، وخلِّ بيني وبين العبد ـ يعني الضحَّاك ـ حتى يحكم الله بيننا.

ففعل عَمرو ما أمره مروان، ودخلَ دمشق، وبلغ الضحاك، فركب في القيسيَّة، وقصد قتل مروان، والتقوْا، فقُتل الضحَّاك.

وفيها بايع أهلُ خُراسان سَلْمَ بنَ زياد بن أبيه بعد موت يزيد وابنه معاوية حتى يجتمع الناس على إمام.

ولم يجتمع أهلُ خُراسان على أمير كاجتماعهم على سَلْم، ومن محبَّتهم له أنهم سَمَّوْا أولادَهم باسمه، فما وُلد منهم مولود إلا وسمَّوْه سَلْماً، فأُحصيَ ذلك، فبلغَ عشرين ألف مولود مدَّةَ ولايته عليهم.

وكان جاء نعي يزيد وابنه معاوية، وجاءه مقتل يزيد بن زياد من سجستان، وأَسْرُ أبي عُبيدة بن زياد، فازداد حزناً. وكان قد بعث بالهدايا والتُّحف إلى يزيد بن معاوية مع عبد الله بن خازم.

ولما كتم ما بلغَه من ذلك، وعلم ابنُ عَرَادةَ الشاعرُ قال:

يا أيُّها الملكُ المغلِّقُ بابَهُ ... حَدَثَتْ أمورٌ شأنُهنَّ عظيمُ
قَتْلَى بجَنْزَةَ[1] والذين بكابُلٍ ... ويزيدُ أُعْلِنَ شأنُهُ المكتومُ
أَبني أميَّةَ إنَّ آخرَ مُلْكِكُمْ ... جسدٌ بحُوَّارينَ ثَمَّ مُقيمُ
طرقَتْ منيَّتُه وعند وسادِهِ ... كوبٌ وزِقٌّ راعفٌ مَرْثُومُ[2]
ومُرِنَّةٌ تبكي على نَشْوانِهِ ... بالصَّنْجِ تقعدُ تارةً وتقومُ

فلمَّا ظهر هذا الشعر أظهر سَلْم موتَ يزيد وموتَ معاوية ابنِهِ، وبايعه الناس على الرِّضى حتى يستقيم الناس على خليفة، وأقاموا شهرين ثم نكثوا.

ولما نكثوا خرج سَلْم عن خُراسان، واستخلف عليها المهلَّب بنَ أبي صُفْرة، فلما كان بِسَرَخْس؛ لقيَه سليمان بن مَرْثَد أحدُ بني قيس بن ثعلبة، فقال له: من استخلَفْتَ على خراسان؟ قال: المُهَلَّب. قال: ضاقَتْ عليك نزار حتى ولَّيتَ رجلاً من اليمن!

---

(١) جنزة: مدينة بين شروان وأذربيجان. ينظر «معجم البلدان» ٢/ ١٧١.

(٢) أي: ملطَّخ.

obeikandl.com

فلما صار بنَيْسابور؛ لقيَه عبدُ الله بن خازم، فسألَه أن يُولِّيَه خُراسان، فقال: عليها المهلَّب. فقال: لابدَّ. فولَّاه إيَّاها، وخرج المُهَلَّب من مَرْو لما علم به[١].

وجرت بين ابن خازم وبكر بن وائل حروبٌ عظيمة قُتل من بكر بن وائل فيها ثمانيةُ آلاف.

وقال له هلال الضَّبِّي: يا ابن خازم، اتَّقِ الله، فإنَّما تُقاتل إخوتَك وبني أبيك، وقد أفنيتَهم، فلو أعطيتَهم شيئاً يرضَوْن به، وأصلحتَ هذا الأمر. فقال: واللهِ لو أعطيتُهم خُراسان ما رضُوا، وأنتَ رسولي[٢] إليهم.

فخرج الرجل حتى لقيَ منهم جماعة فقالوا: لولا أنك رسولٌ لقتلناك. قال: فما يُرضيكم؟ قالوا: إمَّا أن تخرجوا من خراسان، فلا يبقى بها من مُضَر أحد، وإمَّا أن تقيموا وتنزلوا لنا عن كل ذهبٍ وفضَّة وسلاح.

فرجع إلى ابن خازم فأخبره. فقال: إنَّ ربيعة لم تزل ساخطةً على ربِّها منذ بعث الله رسولَه من مُضَر[٣].

ثم رجع ابنُ خازم إلى مرو.

وفيها تحركت الشيعة بالكوفة، وتعاهدوا على الطلب بدم الحسين عليه السلام[٤].

لمَّا قُتل الحسينُ رضي الله عنه، ورجع ابنُ زياد من معسكره بالنُّخَيلة إلى الكوفة؛ ندمت الشيعة على ما فعلوا، وعزموا على الطلب بثأر الحسين رضي الله عنه، وقالوا: كاتبناه وأقدمناه لننصره فخذلناه. ورأوا أنه لا يغسلُ عنهم الإثم والعار إلا أن يقتُلُوا قَتَلَتَهُ، أو يُقتلوا فيه.

فاتفقوا على أن يردُّوا أمرَهم إلى خمسة نفر ـ وكانوا رؤوس الشيعة ـ وهم: سليمان ابن صُرَد الخُزاعي، وكانت له صُحبة مع رسول الله ﷺ، والمسيَّب بن نَجَبَة، وعبد الله ابن سَعْد[٥] بن نُفيل الأزدي، وعبد الله بن والي التيمي، ورِفاعة بن شدَّاد البَجَليّ.

---

(١) تاريخ الطبري ٥/ ٥٤٥ـ٥٤٦ .

(٢) في (خ) (والكلام منها): رسول، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٤٨ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ الطبري ٥/ ٥٥١ .

(٥) في (خ) (والكلام منها): سعيد. والمثبت من «أنساب الأشراف» ٦/ ٢٨ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٥٢ .

واجتمعوا في منزل سُليمان، وكانوا من خيار أصحاب عليّ عليه السلام، فبدأ المسيَّب بن نَجَبَة بالكلام، فحمد اللهَ وأثْنَى عليه، وكان من جملة كلامه أن قال:

أمَّا بعد، فإنَّا قد ابتُلينا بطُول العُمر والفتن، فنرغب إلى الله تعالى أن لا يجعلنا ممَّن يقول له غداً: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[فاطر: ٣٧]، فإن أمير المؤمنين قال: العُمر الذي أعذرَ اللهُ فيه إلى ابن آدم ستون سنة. وليس فينا رجل إلا وقد بلغَها، وقد ابتلانا اللهُ، فَوجَدَنَا كاذِبين في نُصرة ابنِ بنتِ رسول الله ﷺ، فقد راسلناه وكاتبناه، ووعدناه نصرنا، ثم تخلَّينا عنه حتى قُتل إلى جانبنا، فلا نحن نصرناه بأيدينا، ولا خَذَّلْنا عنه بألسنتنا، ولا قوَّيناه بأموالنا، ولا طلبنا له النصر من عشائرنا، فما عُذْرُنا عند ربِّنا وعند لقاء نبيِّنا ﷺ وقد قُتل بينَنا ولدُه وحبيبُه وذُرِّيتُه؟ لا والله، دون أن نَقتُل قاتليه والمؤلِّبين عليه، أو نُقتَل في طلب ذلك، عسى ربُّنا أن يرضى عنا، فولُّوا عليكم أيها القوم رجلاً منكم، فلا بدَّ من أميرٍ ترجعون إليه، ورايةٍ تحفُّون بها.

فقال له رِفاعة بن شدَّاد: إن الله قد هداك لأَصْوبِ القول، ودعوتَ إلى أرشد الأمور، وهو جهادُ الفاسقين، والتوبةُ من الذنب العظيم. وقلتَ: وَلُّوا أمركم رجلاً تفزعون إليه، فإنْ يكن أنتَ ذاك؛ تكن عندنا مَرْضياً، وإنْ رأيتَ ورأى أصحابُنا ولَّينا هذا الشيخَ أمرَ الشيعة، فإنه صاحبُ رسول الله ﷺ، وله السابقةُ والقِدَم ـ وأشار إلى سليمان بنِ صُرَد ـ فإنَّه المحمودُ في بأْسِه ودِينه، الموثوقُ بحَزْمه.

وقال عبد الله بن والي وعبدُ الله بنُ سعد بنحو ما قال رِفاعة، فقال المسيَّب بن نَجَبَة: أصبتُم ووُفِّقتُم، وأنا أرى مثلَ ما رأيتُم، فولُّوا أمرَكم سليمانَ بنَ صُرَد.

فتكلَّم سليمان، وكان من جمل كلامه:

إنَّا كنَّا نمدُّ أعناقَنا إلى قدوم آلِ نبيِّنا ﷺ، ونُمنِّيهم النصر، فلما قدموا؛ وَنَيْنا عنهم، وتَرَبَّصْنا عليهم، حتى قتل فينا وَلَدُ نبيِّنا ﷺ وسلالتُه وبَضْعَةٌ من لحمه ودمه، وجعل

يستصرخ فلا يُصْرَخ، ويستغيثُ فلا يُغاث، ويسأل النِّصْفَ[١] فلا يُعْطَى. واتخذه الفاسقون غَرَضاً للنَّبْل ودَوْم الرماح[٢] حتى أقصدوه، وعَدَوْا عليه فسلبوه. ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية[البقرة: ٥٤].

وذكر كلاماً طويلاً في هذا المعنى، ثم قال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ الآية[الأنفال: ٦٠][٣].

ثم كاتبوا إخوانَهم: سعد بنَ حذيفة بن اليمان، وكان بالمدائن، وإلى المثنى بن مُخَرِّبة العَبْدي، وإلى جميع الأمصار، وأن يكون اجتماعهم بالنُّخيلة غُرَّةَ ربيع الآخِر سنة خمس وستين[٤].

فقال أبو مِخْنَف: كان بداية أمرهم في سنة إحدى وستين بعد مقتل الحسين عليه السلام، وكانوا يستعدون للحرب، ويجمعون الأموال والسلاح حتى هلك يزيد بنُ معاوية يوم الخميس لأربع عشرة مضت من ربيع الأول سنة أربع وستين، فكان بين مقتل الحسين رضي الله عنه وهلاك يزيد ثلاث سنين وشهران وأربعةُ أيام. وكان عُبيد الله بن زياد بالبصرة، وعمرو بن حُريث خليفتُه بالكوفة، فاجتمعت الشيعة إلى سليمان بنِ صُرد وقالوا: قد مات هذا الطاغية والأمر الآن إلى ضعف، فإنْ شئتَ وثبنا على عمرو بنِ حُريث، فأخرجناه من القصر، وأظهرنا الطلب بدم الحسين، وقتلنا قَتَلَتَهُ. فقال سليمان: رويداً لا تعجلوا، فإنَّ قتلةَ الحسين هم أشرافُ أهل الكوفة وفرسانُ العرب، وهم المُطالَبون بدمه، ومتى علموا بما تريدون كانوا أشدَّ عليكم، فاثبتُوا حتى ننظر في هذا الأمر، ونبثَّ الدعاة، وتكثر الشيعة[٥].

وفيها ولّى عبدُ الله بنُ الزُّبير عبد الله بنَ يزيد الخَطْمي الأنصاري الكوفة على حربها، وولَّى إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عُبيد الله الأعرج على خَراجها، فقدماها

(١) أي: الإنصاف.
(٢) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٠ : ودريئة، وفي «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٥٤ : ودريَّة للرِّماح.
(٣) أنساب الأشراف ٦/ ٢٨-٣٠ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٥٢-٥٥٤ .
(٤) في (خ) (والكلام منها): ربيع الأول سنة سبع وستين. والتصويب من المصدرين السابقين ٦/ ٣١ و٥/ ٥٥٦ .
(٥) ينظر «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٥٨-٥٥٩ .

obeikandi.com

لثمان بقين من رمضان، وقدم المختار بن أبي عبيد قبلهما بثمانية أيام، وكان قدوم الجميع من مكة[١].

ذكر قدوم المختار الكوفة:

كانت الشيعة تشتمُ المختار وتلعنُه وتُبغضه لِما كان منه في أمر الحَسَن بن عليّ عليه السلام وقوله لعمِّه: سَلِّم الحَسَن إلى معاوية[٢].

فلما قدم مسلم بنُ عقيل الكوفة أنزله المختار في داره وبايَعَه، ولما خرجَ قاتلَ معه، فلما غلب مال المختار[٣]...

وأخذه ابنُ زياد، فحبسه، وكانت صفيَّةُ أختُ المختار تحت عبد الله بنِ عُمر ﵄، فدخلت عليه وبكت، وقالت: لا أرضى إلا بخلاص أخي، فإني أخافُ عليه من ابن مَرْجانة لا يقتلُه[٤].

فكتبَ ابنُ عمر ﵄ إلى يزيد بن معاوية بسببه، فكتب يزيدُ إلى ابن زياد أن أطلقْ المختارَ حين تنظُر في كتابي هذا، والسلام.

فلما وقف ابنُ زياد على الكتاب؛ أحضرَ المختار وقال له: قد أجَّلْتُك ثلاثاً، فإن وجدتُك بعدَها؛ فأنتَ أخبر.

وكان ابنُ زياد لما جيءَ به إليه ليلةَ خرجَ مسلم بنُ عَقيل؛ شَتَمَه وضربَه بقضيب فشَتَرَ عينَه[٥].

---

(١) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣١ -٣٢، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٠، و«تاريخ دمشق» ٤٤/ ٢٤٢.

(٢) يعني لما طعن الجراحُ بنُ سنان الحَسَنَ بنَ عليّ ﵁ في مُظْلِم ساباط (قرب المدائن)، وحُمل الحَسَنُ إلى المدائن وعليها سعد بن مسعود (عمُّ المختار) من قِبَل علي ﵁، فأشار المختار على عمّه أن يبعث بالحسن إلى معاوية، فأبى عمُّه ذلك. ينظر «أنساب الأشراف» ٢/ ٣٨٢.

(٣) كذا. وبعدها في (خ) (والكلام منها فقط) ما لفظه: «من داره وبايعه، ولما خرج قاتل معه». وهو كلام مكرر، وجاء في هامشها لفظة: كذا. وينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٩، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٩.

(٤) يعني أن يقتله.

(٥) أي: قلبَ جفْنَها.

فلما انقضت الثلاث خرج المختار من الكوفة يريد مكة، فلقيَه ابن الغرق(١) ـ مولى لثقيف ـ من وراء واقصة، فلما رأى شَتَرَ عينِه استرجع وتوجَّع، وقال له: ما بال عينك؟! فقال: خبطني ابنُ الزانية بالقضيب، قتلني اللهُ إن لم أُقطِّعه إرْباً إرباً، فاحفَظْ عنّي ما أقول حتى تَرَى مصداقَه، إن الفتنة قد أَرْعَدَتْ وأبرقَتْ، وكانت(٢) قد أينعت، فوطئت في خِطامها، فإذا رأيتَ ذلك وسمعتَ بمكان قد ظهرتُ به، فوالله لآخُذنَّ بدم المظلوم الشهيد بالطُّفوف، واللهِ لأقتلنَّ بقتله عِدَّة القتلى التي قُتلت على دم يحيى بن زكريا. قال ابنُ الغرق: فقلت: هذه أعجوبة أعجبُ من الأولى. فقال: هو ما أقول لك، فاحفظه عني حتى تَرَى مصداقه. ثم ساق راحلته ومضى. فقلت في نفسي: هذا الأمرُ [الذي] يذكر أنه كائن؛ شيءٌ يحدِّثُ به نفسَه، وليس كلُّ ما يتمنَّاه الإنسان يكون. قال: فواللهِ ما مِتُّ حتى رأيتُ كلَّ ما قال قد كان.

قال ابن الغرق: فحدَّثتُ بذلك الحجَّاجَ بنَ يوسف، فضحك، ثم قال: فقد كان يقول أيضاً: ورافعةٍ ذَيْلَها، وداعيةٍ ويلَها، بدجلةَ أو حولَها.

قال: فقلتُ له: أترى هذا شيئاً يخترعُه، أو تخريصاً يخترصُه، أو هو من علم أوتيَه؟ فقال: والله ما أدري ما هذا الذي تسألُ عنه، ولكن للهِ درُّه! أيُّ رجلٍ ومِسْعَرِ حرب ومُقارعِ أعداءٍ كان(٣)!

وقال عبَّاسُ بنُ سهل بنِ سعد: قدم المختار مكة، فأتى عبدَ الله بنَ الزبير وأنا عنده، فسلَّم عليه، فرحَّب به وقال له: يا أبا إسحاق، كيف تركتَ الناسَ بالكوفة؟ قال: هم لسلطانهم في العلانية أولياء، وفي السِّرِّ أعداء. فقال ابن الزُّبير: هذه صفةُ عبيد السوء؛ إذا رأَوْا أربابهم أطاعوهم، فإذا غابوا عنهم شتموهم.

ثم قال المختار لابن الزبير: ما تنتظرُ؟ مُدَّ يدك لنبايعَك، وأعطِنا ما يُرضينا، وثِبْ على الحجاز، فإنهم كلَّهم معك.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٧١ : ابن العرق. ولم أعرفه.
(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٧٢ : وكأنْ.
(٣) أنساب الأشراف ٦/ ٣٩ـ٤٠ ، وتاريخ الطبري ٥/ ٥٦٩ـ٥٧٣ .ولفظة «الذي» بين حاصرتين منه .

ثم قام من عنده، فغاب عنه سنة، فسألني عنه فقال: هل عندك من المختار خبر؟ فقلتُ له: ما لي به عهد من يوم كان عندك، وقد قدم قوم من الطائف معتمرين، فسألتُهم عنه فقالوا: قدم علينا الطائف وهو يزعم أنه سيِّد[(١)] الجبَّارين. قال: قاتلَه الله، لقد انبعث كذَّاباً متكهِّناً، إن يُهلكِ اللهُ الجبَّارين فهو أحدُهم.

قال عباس: فواللهِ ما فرغنا من منطقنا حتى عَنَّ لنا المختارُ في طرف المسجد، فقال ابن الزبير: اذكُر غائباً تره. فأتى الكعبة، فطاف بالبيت، ثم صلَّى ركعتين عند الحِجْر، وجلس، فأطافَ به رجالٌ من معارفه من أهل الطائف، واستبطأ ابنُ الزبير قيامَه [إليه]، فقال لي: ما شأنُه، أترى ما يأتينا؟ فقلت: أنا أعلمُ لك علمه. فقمتُ إليه، فسلَّمتُ عليه، وجلستُ وقلت له: أين كنتَ؟ قال: بالطائف. فقلت: مثلك [يغيبُ] عن مثل ما اجتمعَ عليه أهلُ الشَّرف من قريش والأنصار وثَقِيف وغيرهم من القبائل على بيعة هذا الرجل! فهلَّا أتيتَه فبايعتَه، وأخذتَ بحظِّك من هذا الأمر؟ فقال: أما رأيتَني أتيتُه عامَ أوَّل، فأشرتُ عليه بالرأي، فطوى أمرَه عنّي؟ فأردتُ أن أُرِيَهُ أنِّي مستغنٍ عنه، واللهِ لهو أحوجُ إليَّ منِّي إليه.

قال: فأخبرتُ ابنَ الزبير، فقال: قُلْ له: ميعادُك الليلةَ عند الحِجْر. فاجتمعا، فسلَّم عليه ورحَّب به، وسكتا طويلاً، ثم قال له المختار، لا خير في الدنيا وفي الإكثار من المنطق، ولا في التقصير عن الحاجة، إني جئتُك لأبايعَك على أن لا تقضيَ الأمورَ دوني، وعلى أن أكونَ أوَّلَ من تأذن له، وإذا ظهرتَ استعنتَ [بي] على أفضلِ عملِك. فقال له ابن الزُّبير: أُبايعُك على كتاب الله وسنَّةِ نبيِّه ﷺ. فقال: مالي في هذا من الحظِّ إلا لمن هو أبعدُ الناس عنك[(٢)]. واللهِ لا أُبايعك على هذا أبداً.

قال عبَّاس: فالتقمتُ أُذن ابنِ الزُّبير وقلت له: اشتر منه دينَه حتى ترى رأيَك. فقال له ابن الزُّبير: فإنَّ لك ما سألتَ. فبايعَه، وأقامَ معه حتى شهدَ الحصار الأول حين قدم الحُصين بن نُمير السَّكوني، وقاتلَ فأبلَى بلاءً حسناً، وكان في عصابة في نحو ثلاث مئة، وجعل ينادي: أنا المختار. فما كان يتوجَّه إلى طائفة من أهل الشام إلا كشَفَهم.

---

(١) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٠، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٧٤: مبير، بدل: سيد. وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٢) عبارة الطبري ٥/ ٥٧٥: مالي في هذا الأمر من الحظّ ما ليس لأقصى الخلق منك.

وقاتل يوم تحريق الكعبة قتالاً عظيماً، وأقام عند ابنِ الزُّبير حتى هلك يزيد، وأقام خمسة أشهر بعد هلاك يزيد، فلما رآه لا يستعملُه؛ عزم على قصد الكوفة.

فقدم مكةَ هانىءُ بنُ أبي حيَّة الوادعي يريد العُمرة[١]، فلقيَه المختار، فسألَه عن الناس بالكوفة، فقال: قد اتَّسقوا على ابنِ الزبير إلا طائفةً من أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعُهم على رأيه أكل بهم الأرض. فقال المختار: أنا أبو إسحاق، أنا واللهِ أجمعُهم على رأي الحقّ، وألقى بهم[٢] ركبان الباطل، وأقتلُ بهم كلَّ جبَّار عنيد. فقال هانىء: ويحك يا ابنَ أبي عُبيد! لا تُوضِع في الضلال، وليكن صاحبُهم غيرك، فإنَّ صاحبَ الفتنة أقربُ شيء أجلاً، وأسوأُ الناس عملاً. فقال المختار: ما أدعو إلى الفتنة، وإنما أدعو إلى الهدى والجماعة.

ثم ركب المختار رواحلَه، وسار إلى الكوفة، فلقيَه سَلَمَةُ بن مَرْثَد الهَمْداني بالقَرْعَاء[٣] ـ وكان ناسكاً شجاعاً ـ فسأله المختار عن الناس، فقال: هم كغنم ضلَّ راعيها. فقال المختار: وأنا أُحْسِنُ رِعايتَها، وأَبلغُ نهايتَها. فوعظَه سَلَمة وقال له: اتَّق الله، فإنَّك ميِّت ومبعوثٌ ومُحاسَب.

فسار المختار حتى قدم الكوفةَ في شهر رمضان سنة أربع وستين، فلما قدم المختار وجدَ وُجوه الشيعة وأشرافَهم قد اجتمعوا على سليمان بن صُرد، فحسده وقال لهم: إني جئتكم من عند المهدي محمد بن الحنفيَّة وليّ الأمر، وأنا وزيرُه، وإن سليمان بن صُرَد لا خبرة له بالحروب، وليس بذي تجربة، وإنما يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلُكم[٤].

ومازال حتى مالت إليه طائفة منهم، وأما رؤساؤهم فمع سليمان بن صُرد، لا يعدلون به أحداً.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٧٧ : عمرة رمضان.

(٢) في المصدر السابق ٥/ ٥٧٨ : أجمعهم على مرّ الحق وأنفي بهم.

(٣) هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المُغيثة. وقبل واقصة إذا كان متوجهاً إلى مكة. «معجم البلدان» ٤/ ٣٢٥ .

(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٢ـ٤٣ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٠ـ٥٦١ و٥٨٠ .

قال: فخرجَ سليمان نحو الجزيرة، فقال عُمر بن سعد بن أبي وقاص وشَبَث بن رِبْعيّ ويزيد بن الحارث بن رُوَيْم لعبد الله بن يزيد الخَطْمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة(١): إنَّ المختار أشدُّ عليكم من سليمان بن صُرد، لأن سليمان إنما خرج ليقاتل عدوَّكم، والمختار يريدُ أن يثبَ عليكم في مصركم، فاسجُنوه ليستقيم لكم الأمر.

فسار إليه عبد الله بنُ يزيد الخَطْمي وإبراهيم بن محمد بن طلحة، فأحاطوا به وأخرجوه من داره، فقال إبراهيم لعبد الله: شُدَّه كِتافاً، ومَشِّه حافياً. فقال له عبد الله: هذا رجل ما ظهر لنا منه عداوةٌ ولا حرب، وإنما أخذناه على الظّنّ، فلا أشدُّه كِتافاً ولا أُمشِّيه حافياً. فقال إبراهيم للمختار: يا ابنَ أبي عُبيد، ما هذا الذي يبلغُنا عنك؟ فقال المختار: أمَّا ما بلغك عنّي فباطل، وأعوذ بالله من غِشٍّ كغِشِّ أبيك وجدِّك.

فأركبوا المختار على بغلةٍ له دهماء، فقال إبراهيم لعبد الله: ألا تقيِّدُه؟ فقال: كفى بالسجن قيداً. فقال: أمَا [وربِّ البحار، و] النخيل والأشجار، والمَهَامِهِ والقِفار، والملائكة الأبرار، والمصطفَيْنَ الأخيار، لأقتلنَّ كلَّ جبَّار بكلِّ لَدْنٍ خَطَّار، ومهنَّدٍ بتَّار، في جموعٍ من الأنصار، ليسوا بأغمار ولا أشرار(٢)، حتى إذا أقمتُ عمود الدين، وشَفَيْتُ غليل صدور المسلمين والمؤمنين، وأدركتُ بثأر النبيِّين؛ لم يكبُر عليَّ زوالُ الدنيا، ولم أَحْفَل بالموت إذا أتى.

فكان يَسْجَعُ لأصحابه من هذا السَّجع وأمثالِه(٣).

وأتى يزيد بن الحارث بن رُوَيْم الشَّيباني إلى عبد الله بن يزيد الخَطْمي فقال له: إنَّ الناس يتحدَّثون أن الشيعة خارجةٌ عليك مع سليمان بن صُرد، ومنهم طائفة قليلة مع المختار، والمختار يتربَّص بخروجه ما يؤول إليه أمرُ ابنِ صُرَد، فإن رأيتَ أن تجمعَ الشُّرَط والمقاتلة، ثم تنهضَ إليهم فتقاتلَهم. فقال عبد الله: إن قاتلونا قاتلناهم، وإن

(١) سلف ص٢٦٧ أن عبد الله بن يزيد الخطمي أمير الكوفة على حَرْبها من قِبَل ابن الزبير، وإبراهيم بن محمد ابن طلحة أميرها على الخَراج. وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨٠-٥٨١ .

(٢) في «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٣ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨١ : ليسوا بميل أغمار، ولا بعُزل أشرار.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٦/ ٤٢-٤٣ ، و«تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨٠-٥٨٢ . وما سلف بين حاصرتين منهما.

تركونا لم نطلبهم. وقال: ما الذي يريدون؟ قال: يذكرون أنهم يطلبون بدم الحسين. فقال: فأنا قتلتُ الحسين؟! لعنَ الله قاتلَ الحسين.

وكان سليمان بن صُرَد وأصحابُه يريدون [أن] يثبوا بالكوفة، فصَعِدَ عبدُ الله المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمَّا بعد، فقد بلَغَني أن طائفةً من أهل المصر يُريدون الخروج علينا، فسألتُ عن السبب، فذُكر لي أنهم يطلبون بدم الحسين بنِ عليّ، فرحم الله هؤلاء القوم، فقد دُلِلْتُ على أماكنهم، وقيل لي: ابدأ بهم قبل أن يبدؤوا بك. فأبيتُ ذلك وقلتُ: إنْ قاتلوني قاتلتُهم، وإن تركوني لم أطلبهم، وعلامَ يُقاتلونني؟! فوالله ما أنا قتلتُ حسيناً! فلعنَ اللهُ قاتلَه، وهؤلاء القوم آمنون، فليخرجوا ظاهرين، ثم ليسيروا إلى قَتَلَةِ الحسين رحمه الله، وأنا لهم على قاتله ظهير ومعين. وهذا ابنُ زياد قاتلُ الحسين وقاتلُ أماثلكم وخِيارِكم قد توجَّه إليكم، فاسْتَعِدُّوا له[1]، فهو أولى من أن يقتل بعضُكم بعضاً ويسفك بعضكم دمَ بعض، فيلقاكم وقد رَقَقْتُم[2]، وتلك أمنيَّةُ عدوِّكم.

فقام إبراهيم بنُ محمد بن طلحة، فقال: أيُّها الناس، لا يغرَّنَّكم كلامُ هذا المداهن الموادع، واللهِ لئن خرجَ علينا خارجٌ لَنقتلنَّه[3]، ولئن تيقَّنَّا أنَّ أحداً خارجٌ علينا لنأخذنَّ الوالد بولده، والمولودَ بوالده، والحميم بحميمه، حتى تدينوا للحق وتَذَلَّلُوا للطاعة.

فقام المسيَّب بنُ نَجَبة، فقطع عليه كلامَه وقال: يا ابن الناكثين، أنت تهدِّدُنا بسيفك وغَشْمك[4]. واللهِ [إني لأرجو ألا يخرجك الله من] بين ظهراني هذا المصر حتى يُثَلِّثُوا بك أباك وجدَّك. وأمَّا أنت أيُّها الأمير؛ فقد قلتَ قولاً رشيداً، والله إني أظنُّ من[5] يريدُ هذا الأمر مستنصحاً لك، وقابلاً قولَك.

---

(١) في (خ) (والكلام منها): فاستعدُّوا أمثاله (؟). وينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٢ .

(٢) في (خ): وقفتم. والمثبت من المصدر السابق.

(٣) في (خ): ليقتلنا. والمثبت من المصدر السابق.

(٤) الغَشْم: الظلم والغَصْب. ووقع في (خ): وبجسمك! والتصويب من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٢ ، وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) في (خ): أظنُّ أنَّ من. والمثبت من المصدر السابق، من أجل قوله بعده: مستنصحاً . . .

فقال إبراهيم: إي واللهِ ليُقتلَنَّ، وقد داهن[١] ثم أعلن.

فقام عبد الله بن والي التَّيْمي فقال: يا أخا بني تيم[٢] بنِ مُرَّة، ما اعتراضُك بينَنا وبين أميرنا، إنَّما أنت أميرُ جِزْيَةٍ وخَراج، ولست بأميرنا ولا سلطانَ لك علينا، فأَقْبِلْ على جِزْيتك وخَراجك، فواللهِ ما أفسدَ أمر هذه الأمةِ إلا والداك[٣] الناكثان، فعاد عليهما شؤم ذلك، وكانت عليهما وعلى الناكثين دائرة السُّوء.

فغضب جماعةٌ من أصحاب إبراهيم بن محمد، وغضبت الشيعة، فتخاصموا، ونزل عبدُ الله من المنبر، فقال إبراهيم: داهن الخَطْميُّ أهلَ الكوفة، واللهِ لأكتبنَّ بذلك إلى ابن الزُّبير.

وبلغ الخَطْميَّ، فدخل عليه وقال: واللهِ ما أردتُ بما قلتُ إلا العافيةَ، وإصلاحَ ذات البَيْن، وإطفاءَ النائرة. فقبل إبراهيمُ ذلك منه.

وأقبلت الشيعةُ يتجهَّزون ويشترون السلاح ظاهرين لا يخافون.

وفيها فارقت الخوارجُ عبد الله بنَ الزُّبير، وكانوا قد اجتمعوا عنده يحمون الكعبة، ويقاتلون أهلَ الشام، وكان عُبيد الله بن زياد لما قَتلَ الخوارجَ تفرَّقوا في البلاد، واجتمعوا إلى نافع بن الأزرق، وقالوا له: قد هلك الطاغية يزيد، وأقام ابنُ الزُّبير عائذاً بالبيت، فماذا ترى؟ قال: سيروا بنا إليه، فإن كان على رأينا جاهدنا معه عدوَّه، وإن لم يكن على رأينا دافعنا عن البيت ما استطعنا، ونظرنا بعد ذلك في أمرنا.

فقدموا على ابن الزبير فسُرَّ بهم، وسألوه، فقال: أنا على مثل رأيكم. وأعطاهم الرِّضى من غير توقيف. فقاتلوا معه حتى مات يزيد بنُ معاوية ورجع أهل الشام عن مكة، فقال بعضهم لبعض: قد زعم أنه على رأيكم، وإنما كان أمسِ يُقاتلكم هو وأبوه وينادون: يا لثارات عثمان. فاسألوه عن عثمان، فإن برِىءَ منه؛ فهو منكم، وإن أبى؛ فهو عدوُّكم.

---

(١) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٦٢: أدهن.

(٢) في (خ) (والكلام منها): سمرة، بدل: بني تيم! والمثبت من المصدر السابق.

(٣) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٦٣: والدك وجدُّك.

فمشَوا إليه وقالوا: أيها الإنسان، إنَّا قاتَلْنا معك ظنّاً أنَّك على رأينا، ولم نبحث معك، فأخْبِرْنا عن رأيك في عثمان. فنظر؛ فإذا حولَه من أصحابه قليل، فقال لهم: موعدُكم العشيَّة لأُخبركم من ذلك بما تريدون.

فانصرفوا، فأمر أصحابَه بلبس السلاح، وأن يأتوه العشيَّة، ففعلوا، وجاءت الخوارج، فرأوا أصحابه حوله سِماطَيْن[1]، وعليهم السلاح، وجماعة من عنده وأشراف أصحابه قيام على رأسه بالأعمدة، فلما رأَوْا ذلك قال نافع بن الأزرق لأصحابه: خشيَ واللهِ غائلتكم، وقد أزمعَ على خلافكم فاستعدَّ لكم.

فدنا منه نافع وقال له: يا ابنَ الزبير، اتَّقِ ربَّك، وأبغضِ الجائر[2] المستأثر الذي أوَّل مَنْ سنَّ الضلالة، وأحْدَثَ الأحداث، وخالفَ حكم الكتاب، وإن خالفتَ فأنتَ من الذين استمتعوا بِخَلَاقهم.

ثم قال: قُم يا عبيدة بن هلال، فَصِفْ لهذا الإنسان أمرَنا الذي نحن عليه، وندعو إليه الناس. وكان عبيدة من الفصحاء.

فتقدَّم فخطبَ خطبةً بليغة؛ ذكرَ فيها سيرةَ رسول الله ﷺ والخليفتين بعدَه، ثم قال:

فقام عثمان فحمى الأحماء، وآثر الأقرباء، واستعمل الفتيان، وآوى طريد رسول الله ﷺ، وأحرقَ الكتاب، وخالف السنن، وفعل ما فعل، فسارت إليه طائفةٌ من المسلمين؛ أخذ الله ميثاقَهم على طاعته؛ لا يخافون في الله لَوْمَةَ لائم، فقتلوه، فنحن لهم أولياء، ومن ابنِ عفَّان وأوليائه بُرَآء، فما تقول أنتَ يا ابنَ الزُّبير؟

فحمد اللهَ ابنُ الزبير، وصلَّى على رسوله ﷺ، ثم قال: قد علمتُ ما وصفتَ به رسولَ الله ﷺ والخليفتين بعدَه، فلقد وُفِّقتَ وأصبتَ. وأمَّا ابنُ عفَّان؛ فإني لا أعلمُ أحداً من خلق الله أعلمَ بمكانه وأمرِه منِّي، فإني كنتُ معه حين نَقَمُوا عليه واستَعْتَبُوه، وقد أجابَ عن جميع ما نَقَمُوا به، فما سمعوه منه، وقتلوه، وإنَّني وليُّ مَنْ والاه، وعدوُّ مَنْ عاداه.

(١) السِّماط: الصف.

(٢) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٦٥: الخائن.

فقالت الخوارج: فبرىء اللهُ منك يا عدوَّ الله. قال: وبرىءَ اللهُ منكم يا أعداء الله.

ثم تفرَّقوا في البلاد، فبعضُهم تولّى البصرة، وبعضُهم اليمامة، وبعضهم هَجَر، وكانوا زيادةً على عَشَرة آلاف، ورؤساؤهم نافع بنُ الأزرق الحنظليُّ، وعبدُ الله بن صفَّار السَّعْديّ من بني صَرِيم بن مُقاعس، وعبدُ الله بن إباض، وحنظلة بن بَيْهس، وأبو طالوت من بني زِمَّان[1]، وغيرهم، ثم خرجوا بعد ذلك على الأمراء.

وسنذكر ذلك في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وفيها هدم ابنُ الزُّبير الكعبة وبناها:

لمّا ارتحل الحُصين بن نُمير عن مكة لخمس ليالٍ خلون من شهر ربيع الأوَّل، سنة أربع وستين أمرَ عبدُ الله بنُ الزُّبير بتلك الأخصاص[2] التي حول الكعبة فهُدمت، فبَدَتِ الكعبةُ، وكَنسَ المسجدَ، وأزالَ ما فيه من الحجارة والدِّماء.

وقد وهت الكعبة من أعلاها إلى أسفلها من حجارة المنجنيق، فإذا الرُّكن قد اسودَّ واحترق من النار التي كانت حول الكعبة.

فشاورَ ابنُ الزبير الناس في هدمها وإعادة البناء، فأشار عليه جابرُ بن عبد الله وعُبيد ابن عُمير وغيرُهما بذلك، وأبى عليه عبد الله بنُ عبَّاس وقال: أخشى أن يأتي بعدك من يهدمُها، فلا تزال تُهدمُ حتى يتهاونَ الناسُ بحرمتها، إنه قد فَرَقَ[3] لي فيها رأيٌ، أرى أن تُصلحَ ما وَهَى منها، وتدعَ بيتاً أسلمَ الناسُ عليه، وأحجاراً بُعث رسولُ الله ﷺ عليها. فقال ابنُ الزُّبير: لو أنَّ أحدَكم احترقَ بيتُه، ما رضيَ حتى يجدِّدَه، فكيف ببيت ربِّكم؟! إني مستخيرٌ ربي ثلاثاً، ثم عازمٌ على أمر.

---

(١) في (خ) (والكلام منها): مازن. والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٦٦.
(٢) جمع الخُصّ، وهو البيت من شجر أو قصب، ويجمع أيضاً على خِصاص. وينظر «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢١٦.
(٣) أي: بدا وظهر. وذكر ابن الأثير في «النهاية» ٣/ ٤٤٠ أنه يقال: فُرِق، على ما لم يُسمَّ فاعلُه. اهـ. وهذا الحرف في «صحيح» مسلم (١٣٣٣): (٤٠٢). وينظر «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢١٦-٢١٧، و«البداية والنهاية» ١١/ ٦٩١.

فما مضت الثلاث حتى اجتمع رأيُه على نقضها، فتحاماه الناسُ خوفاً أن ينزلَ عليهم من السماء أمر.

ثم صَعِدَه رجلٌ، فألقى منه[١] حجراً، فلما رأى الناسُ أنه لم يصبه [شيء] تتابعوا على نقضه، فنقضوه حتى بلغوا به الأرض.

ثم حفر الأساس، فوجدوا أصلاً بالحِجْر مشبَّكاً كأصابع[٢] اليدين، فدعا عبد الله ابنُ الزبير خمسين رجلاً من قريش وأشْهَدَهُم على ذلك، وجعل الحَجَر في تابوت في سَرَقَةٍ[٣] من حرير، ثم بنى البيت، وأدخل الحِجْرَ فيه، وجعلَ للكعبة بابين موضوعين بالأرض، بابٌ يُدخل منه، وبابٌ يُخرج منه بإزائه[٤]، وقال: إن عائشةَ حدَّثتني أنَّ رسول الله ﷺ قال لها: «إنْ أرادَ قومُك أن يَبْنُوا البيتَ على ما كان عليه على عهد إبراهيم فليفعلوا»[٥].

قال: فأرَتْني عائشةُ الذي أراها رسولُ الله ﷺ، فكان عندي مذروعاً حتى ولِيتُ هذا الأمر، فلم أعْدُ به ما قال رسول الله ﷺ. فرأى الناس يومئذ أنه قد أصاب حتى بلغ موضع الركن الأسود؛ فوضعه بيده، وشدَّه بفضَّة؛ لأنه كان قد انصدع، ثم ردَّ الكعبة على بنائها، فجعلها سبعة وعشرين ذراعاً، ولطَّخَ جُدُرَها بالمسك، وسَتَرَها بالدِّيباج.

ثم اعتمر من خيمة حمامة[٦]، وهي عند مساجد عائشة رضوان الله عليها، ثم طاف بالبيت وصلَّى وسعى.

ولمَّا ألحقها بالأرض جعل أعمدةً، فستر عليها ستوراً حتى ارتفع البناء[٧].

---

(١) في (خ) (والكلام منها): فألقى عليه منه!

(٢) الكلمة غير واضحة في (خ). والمثبت من «البداية والنهاية» ١١/ ٦٩٢ .

(٣) السَّرَقَة: واحدة السَّرَق، وهي شُقَق الحرير الجيّد. وتحرفت اللفظة في (خ) إلى: خرقة. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٨٧ .

(٤) في «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢٠٧ : وجعلَ البابَ الآخر بإزائه في ظهر الكعبة مقابله.

(٥) هو بنحوه من حديث مسلم (١٣٣٣) المشار إليه قريباً.

(٦) كذا في (خ). وفي «أخبار مكة» للأزرقي ١/ ٢٢٠ : جمانة.

(٧) أي: رفَعَ الأعمدةَ وجعل عليها الستور ليستقبلها المصلُّون ريثما يرتفع البناء. وكان من الأنسب أن ترد هذه الفقرة أثناء كلامه عن البناء.

قال يزيد بن رُومان: شهدتُ [ابنَ] الزُّبير حين هَدَمَ البيت وبناه، وأدخلَ فيه من الحِجْر، وقد رأيتُ أساسَ إبراهيم حجارة كأسنمة البُخْت. قال جرير بن حازم: فقلتُ ليزيد بن رُومان: أين موضعُه؟ قال: أُرِيكَهُ الآن. فدخلتُ معه الحِجْر، فأشارَ إلى مكان، وقال: ههنا. فَحَزَرْتُ من الحِجْرِ ستَّةَ أذرع، أو نحوها[١].

وقال عبد الله بن الزُّبير ﵄: قالت عائشة: قال رسول الله ﷺ: «لولا أنَّ الناسَ حديثُ عهدٍ بكفر، وليس عندي من النفقة ما أتقوَّى به على بنيانه؛ لكنتُ أُدْخِلُ فيه من الحِجْرِ خمسة أذرع». وذكر الحديث.

ثم قال ابن الزبير: فأنا اليوم أجدُ ما أُنفق، ولستُ أخافُ الناس. فزاد فيه خمسةَ أذرع من الحِجْر، حتى إذا بدا الأساس[٢] نظر الناسُ إليه، فبنى البناء. وكان طولُ الكعبة ثمانيةَ عشرَ ذراعاً[٣]. فلما زاد فيه استقصره، فزاد في طوله عشرة أذْرُع، وجعل له بابين.

فلمَّا قُتل ابنُ الزُّبير كتبَ الحجَّاج إلى عبد الملك بن مروان يخبره بذلك، وأنَّ ابنَ الزُّبير قد وضع البناءَ على أساسٍ نظر إليه العُدُول من أهل مكة، فكتب إليه عبدُ الملك: لسنا من تلطيخ ابنِ الزُّبير في شيء، أمَّا ما زاد في طوله، فأقرَّه، وأمَّا ما زاد من الحِجْر، فرُدَّه إلى بنائه، وسُدَّ الباب الذي فتحَه. فنقضَه الحجَّاج، وأعاده إلى بنائه.

[و] بينا عبدُ الملك يطوفُ بالبيت إذ قال: قاتلَ اللهُ ابنَ الزُّبير حيث يكذبُ على أمِّ المؤمنين حيث يقول: سمعتُها تقول كذا وكذا. فقال له الحارث بنُ عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي: لا تَقُلْ هذا يا أمير المؤمنين، فأنا سمعتُها تُحدِّثُ هذا. فقال عبد الملك: لو كنتُ سمعتُه قبلَ أن أهدمه لتركتُه على ما بنى [ابنُ] الزبير[٤].

---

(١) صحيح البخاري (١٥٨٦).
(٢) في «صحيح» مسلم (١٣٣٣): (٤٠٤): حتى أبدى أُسّاً.
(٣) في «صحيح» مسلم: ثماني عشرة ذراعاً. والذراع يذكّر ويؤنّث.
(٤) صحيح مسلم (١٣٣٣): (٤٠٢)، والذي قبله فيه برقم (٤٠٢).

ولما أراد ابنُ الزُّبير هَدْمَ الكعبة وبناءها أرسل إلى اليمن أربعة آلاف بعير تحملُ الوَرْس ليجعله مَدَرَها، فقيل له: إن الوَرْس يَرْفَتُّ. فقَسَمه في عجائز قريش، وبناها بالقَصَّة، [وكان في المسجد جراثيم، فقال: أيُّها الناس، ابْطَحُوا به[١].

ومعنى يَرْفَتُّ، أي: يتفَتَّت، والقَصَّة معناها الجَصّ. والجراثيم: تراب وطين يعلو على وجه الأرض. وابْطَحُوا، أي: سَوُّوا. وأراد ابن الزُّبير تعديل المسجد[٢].

وقال الجوهري: الوَرْسُ نَبْتٌ أصفر يكون باليمن، تتَّخذُ منه الغُمْرَةُ للوجه، ووَرَّسْتُ الثوبَ توريساً: صبغتُه بالوَرْس][٣].

وحجَّ بالناس عبد الله بنُ الزبير ﵄، وكان على المدينة عُبيدة بن الزُّبير، وعلى الكوفة عبدُ الله بنُ يزيد الخَطْميّ.

وكان شُريح القاضي على الكوفة، فامتنع في هذه السنة من القضاء وقال: لا أقضي في أيام الفتنة. فوليَ قضاءها سعدُ[٤] بنُ نِمْران.

وكان على ولاية البصرة عُمر بن عُبيد الله بن معمر التَّيْميّ.

قالوا: وفي هذه السنة وقع الطاعون الجارف بالبصرة، مات في اليوم الأول سبعون ألفاً، وفي اليوم الثاني تسعون ألفاً[٥]، وفي اليوم الثالث ثلاثة وتسعون ألفاً[٦]، وفي اليوم الرابع جميعُ الناس إلا القليل، وكانوا يَسُدُّون باب الدار على أهلها.

وماتت أمُّ الأمير عُمر بن عُبيد الله بن معمر، فما وجدوا لها من يحملها حتى استأجروا لها أعلاجاً، فحملوها إلى قبرها. فيقال: إنهم ماتوا عند قبرها[٧].

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ١٥٧، ونُسب الخبر في (م) إليه. والكلام بين حاصرتين منها. قوله: مَدَرَها، أي: طينها. وسيرد معنى الكلام.

(٢) قال ابن قتيبة: إنما أراد أن المسجد كان متعلّياً غير مستوي الأرض، ففيه مواضع قد عَلَتْ، ومواضع قد تحفَّرت، فأمرهم أن يَبْطَحُوا، أي: يُسَوُّوا الأرض بالبطحاء.

(٣) الصحاح (ورس). والكلام بين حاصرتين من (م).

(٤) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٥٨٢: سعيد.

(٥) في «المنتظم» ٦/ ٢٥: واحد وسبعون ألفاً.

(٦) في المصدر السابق: ثلاثة وسبعون ألفاً.

(٧) ينظر إضافة إلى المصدر السابق: أنساب الأشراف ٤/ ٤٧٣، وتاريخ الطبري ٥/ ٦١٢-٦١٣.

وقيل: إن الطاعون الجارف كان في أيام عبد الملك بن مروان.

وكان على قضاء البصرة هشام بن هُبيرة، وعلى خُراسان عبد الله بنُ خازم أميراً، والكلُّ من قِبَل ابن الزُّبير.

وفيها توفي

جابرُ بن سَمُرة

ابن جُنادة السُّوائي[1]، وجدُّه جُنادة صحبَ رسول الله ﷺ[2]، وروى عنه أيضاً، وكذا جابر، وكنيةُ جابر أبو عبد الله. وقيل: أبو خالد.

أسند جابر الحديث عن رسول الله ﷺ.

ربيعة بن عَمرو

ابن الغاز الجُرَشي له صحبة، وكان قاضي معاوية على الأرباع، وكان يقصُّ على الناس، وكان فقيهاً.

وقُتل مع الضحَّاك بن قيس في مَرْج راهط[3].

زِمْل بن عَمرو

ابن العِتْر بن خَشَّاف العُذْري[4]، من الطبقة الرابعة من الصحابة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٦/ ٢٠٦ و٨/ ١٤٦ . وقال: توفي بالكوفة في أول خلافة عبد الملك بن مروان في ولاية بشر ابن مروان على الكوفة. اهـ. ونسبه ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ص ١١٦ : جابر بن سمرة بن عمرو، وقال: توفي سنة ست وستين في أيام المختار بن أبي عبيد. وعدَّه المِزّي في «تهذيب الكمال» ٤/ ٤٣٩-٤٤٠ وهماً. وذكر ابن حبان في «مشاهير علماء الأمصار» ص ٤٧ ، و«الثقات» ٣/ ٥٢ أنه مات سنة (٧٤).

(٢) كذا وقع في (خ) (والكلام منها). وهو وهم غالباً، فلم يُذكر جدُّه جُنادة في الصحابة، وإنما لجابر ولأبيه سَمُرة صحبة. روى الجماعة لجابر، وروى لأبيه سَمُرة: البخاريُّ ومسلم وأبو داود والترمذي. ينظر «تهذيب الكمال» ٤/ ٤٣٧ و١٢/ ١٢٩ .

(٣) طبقات ابن سعد ٩/ ٤٤١ ، ومختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٨٠ ، ومرج راهط: موضع شرقي دمشق بعد مرج عذراء، وسلف ذكر الواقعة.

(٤) ينظر «توضيح المشتبه» ٣/ ٤٢٩ .

وفد على رسول الله ﷺ، وكتب له كتاباً، وعقدَ له لواءً، [و] شهد [به] صفِّين مع معاوية، وشهد المَرْج[(١)] مع مروان، وقتل في ذلك اليوم.

وكان [مع] مروان بالجابية، وهو أحد شهود التحكيم من جانب معاوية، وأقطعه داراً بباب توما.

ولما قدم زِمْل على رسول الله ﷺ أنشده:

إليك رسولَ الله أعملتُ نَصَّها ... أكلِّفُها حَزْناً وقَوْزاً من الرَّمْلِ[(٢)]

لأنصرَ خيرَ الناسِ نصراً مؤزَّراً ... وأعقدَ حبلاً من حبالك في حَبْلي

وأشهد أنَّ الله لا شيءَ غيرُه ... أدينُ بها ما أَثقلت قدمي[(٣)] نعلي

الضحَّاك بن قيس

ابن خالد الأكبر بن وَهْب بن ثعلبة بن وائلة بن عَمرو بن شيبان بن مُحارب بن فِهْر، أبو أُنَيْس، من الطبقة الخامسة، ممن مات رسول الله ﷺ [وهم أحداث الأسنان][(٤)] وسمع منه وصحبَه شيئاً يسيراً.

وكان فقيهاً، وقُبض رسول الله ﷺ وهو غلام لم يبلغ[(٥)]. وليَ الضحاك الكوفة لمعاوية سنة أربع وخمسين، وعُزل عنها سنة سبع وخمسين[(٦)].

---

(١) في (خ) (والكلام منها): شهد صفِّين مع معاوية وشهد به المَرْج. وأثبتُّ لفظ تاريخ دمشق ٦/ ٤٤٠ (مصورة دار البشير)، وهو بنحوه في طبقات» ابن سعد / ٤٤٠ .

(٢) النَّصُّ من الشيء: منتهاه، والحَزْن من الأرض: ما غلُظ، والقَوْز: العالي من الرَّمْل.

(٣) في (خ) (والكلام منها): من دمي. والمثبت من «تاريخ دمشق» ٦/ ٤٤٠ .

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٤٣ . وما بين حاصرتين لابدَّ منه لإتمام الكلام.

(٥) ينظر «مختصر تاريخ دمشق ١١/ ١٣١ . ونُسب الكلام في (م) للواقدي. وجاء الكلام السالف فيها مختصراً، وجاء فيها في هذا الموضع: وقال ابن عساكر: صحب النبيَّ ﷺ شيئاً يسيراً. قال: وقيل: لا صحبة له. والأصح أن له صحبة.

(٦) نُسبت هذه الفقرة في (م) للزبير بن بكّار، وجاء فيها بعد ذلك قوله: ووليَّ مكانه عبد الرحمن بن أم الحكم. وينظر «تاريخ» خليفة ص ٢٢٣ و٢٢٤ ، و«ثقات» ابن حبان ٣/ ٥٤ ، فقد ذكر أن مدة ولاية الضحاك سنتان ونصف.

ثم ضمَّه معاويةُ إلى الشام، فكان معه حتى مات معاوية ويزيد[١] ووثب مروان على الشام.

وشهد صفِّينَ مع معاوية، وكان على أهل دمشق وهم في القلب، وكانت له دار بدمشق في حجر الذهب ممَّا يلي حائط المدينة مشرفة على بردى.

[وخرج إلى المَرْج فقُتل، والله أعلم][٢].

وأسند الحديثَ عن رسول الله ﷺ؛ قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا عفَّان ابن مُسلم، حدثنا حمَّاد بنُ سَلَمة، حدثنا عليُّ بن زيد، عن الحسن قال: لمَّا مات يزيد ابن معاوية كتب الضحَّاك بنُ قيس إلى قَيْس بن الهيثم: سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم[٣]، يموت فيها قلبُ الرجل كما يموتُ بَدَنُه، يُصبحُ الرجلُ فيها مؤمناً، ويمسي كافراً، يبيعُ أقوامٌ دينَهم وخَلاقَهم بِعَرَضٍ من الدنيا قليل»[٤]. وإنَّ يزيد بن معاوية قد مات، وأنتم إخوانُنا وأشقَّاؤُنا، فلا تسبقونا حتى نختار لأنفسنا[٥].

وروى عن الضحَّاك جماعة من الصحابة، منهم معاوية، وكان معاوية أكبرَ منه، فقال: حدَّثني الضحاك ـ والضحاك جالس عند المنبر ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال على الناس والٍ من قريش»[٦].

وروى عن الضحَّاك جماعةٌ من التابعين، منهم: أبو إسحاق السَّبِيعيّ، وتميم بن طَرَفة، والشَّعبي، وميمون بن مِهْران، وسِمَاك بن حَرْب، وعبد الملك بن عُمير، وغيرهم.

فوَلَدَ الضحَّاك عَمْراً، وأمُّه من بني عوف بن حرب. ومحمداً وعبدَ الرحمن؛ أمُّهما ماويَّة بنت يزيد بن جَبَلة، كَلْبِيَّة. وحبيباً، وأمُّه أمُّ عبد الله بنتُ عروة.

---

(١) كذا ولعلَّ صواب العبارة: فكان فيها حتى مات معاوية بنُ يزيد. . . الخ. أو أنَّ ثمة سقطاً وقع. .

(٢) ينظر المصدر السابق. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٣) بعدها في «مسند» أحمد (١٥٧٥٣): فتناً كقطع الدُّخان.

(٤) لفظة «قليل» ليست في «المسند». وذكره محقِّقوه أن المرفوع من الحديث صحيح لغيره.

(٥) أخرجه أيضاً ابن سعد ٦/ ٥٤٣ عن عفَّان بن مسلم بهذا الإسناد.

(٦) أخرجه ابن عساكر ٨/ ٤٠٩ .

وأختُ الضحَّاك فاطمةُ بنتُ قيس روت حديث الجسَّاسة[١]، وزَوَّجها رسولُ الله ﷺ أسامَةَ بنَ زيد، وحديثُها في الصحيح، وكانت من المهاجرات الأول ذات عقل وجمال، وكانت أكبرَ من الضحاك بعشر سنين.

روى عنها أبو سَلَمة بنُ عبد الرحمن، والشعبيُّ، والنَّخعيُّ[٢]، وغيرُهم[٣].

عثمان بن عَنْبَسة بن أبي سفيان

أُمُّه زينب بنت الزُّبير بن العوَّام، وأُمُّها أمُّ كلثوم بنتُ عقبة بن أبي مُعَيْط.

وهو الذي تَمَّمَ صلاة الوليد بنِ عُتْبة على معاوية بن يزيد[٤].

وقالت له بنو أمية عند موت معاوية بن يزيد: هلُمَّ إلينا نُبايعْك بالخلافة. قال: على أن لا أُحاربَ أحداً. قالوا: لا. قال: فأنا ذاهب إلى خالي عبد الله بنِ الزبير. فقال له مروان: هذه ساعةُ أعمام لا ساعةُ أخوال.

ثم خرج إلى مكة إلى خاله ابنِ الزبير، فجفاه لأجل بني أمية. وأقام أياماً، فمرض وتوفي بمكة، فحملَه ابنُه إلى الطائف، فدفنَه عند قبر أبيه عَنْبَسة بن أبي سفيان[٥].

وكان عثمان أقام عند خاله عبد الله بن الزُّبير إلى يوم المَرْج، فخرج إلى قتال مروان، وحمل على ألف دابة، فلما قُتل الضحاك انهزم عثمان إلى خاله ابن الزبير، فأرسل إليه يقول: إن بأصحابي حاجة، فبعث إليه بمئة مُدِّ برّ، ومئة مُدِّ شعير. فأرسل إليه عثمان يقول: أحملُ على ألف دابَّة في قتال قومي، وتبعثُ لي بهذا؟! واللهِ لا كلَّمتُك أبداً. وقال:

بـأيِّ بـلاءٍ أو بـأيَّـةِ نـعـمـةٍ تبعثُ بني العوَّام دون بني حربِ
أأختـارُ[٦] أذْواداً كـراماً صحـائحاً بعارية الأصلاب مُجْدِبةٍ[٧] جَرْبِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) يعني الأسود بن يزيد النَّخعي، كما في «تهذيب الكمال» ٣٥/ ٢٦٤ .

(٣) ينظر المصدر السابق، و«طبقات» ابن سعد ١٠/ ٢٥٩ ، و«الاستيعاب» ص ٩٢٩ .

(٤) سيرد هذا الخبر في ترجمة معاوية بن يزيد بعد ثلاث تراجم.

(٥) «تاريخ دمشق» ٤٧/ ١٣ و١٦ . (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عثمان بن عنبسة).

(٦) في «تاريخ دمشق» المجلدان ٣٥ ـ ٣٦/ ٥٩١ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عبد الله بن عثمان بن عنبسة): أأُتبع.

(٧) اللفظتان: بعارية، مجدبة، من المصدر السابق. إذ لم تتبيّن لي في (خ) (والكلام منها). وينظر معجم الشعراء» للمرزباني ص ٣٤٦ ، ففيه رواية أخرى للشعر.

واستحيى عثمان من الرجوع إلى بني أمية، فأقام بمكة، فلما احتُضر قال لابنه عبد الله: يا بُنيّ، الحَقْ بقومك، فإن أباك لم يغتبط بفراقهم.

وأوصى إلى خالد بن يزيد بن معاوية وهو بالشام. ولما مات عثمان خرج ولده عبد الله إلى الشام، فأدخله خالد على عبد الملك، فلمَّا رآه قال: لا رحم الله أباك، ولا جَبَر يُتْمك، واللهِ لا أدعُ لك بيضاءَ ولا صفراء ولا خضراء إلا قبضتُها.

فجمع الغلامُ رداءه، ثم رمى به في وجه عبد الملك [ثم قال: اقبض هذا أولاً. وخرج حاسراً، فقال عبد الملك] لابنه الوليد: يا وليد، رَجَلٌ واللهِ، فاجعله في صحابتك[(١)].

مسلم بن عقبة

ابن رياح المُرِّي، أبو عُقْبَة، أدركَ رسولَ الله ﷺ، ولم يره.

وذكره ابن سُمَيْع في الطبقة الثانية من التابعين.

ولما فعل بأهل المدينة ما فعل قال الناس: مُسْرِف بن عُقبة؛ لإسرافه وفتكه.

وشهد مع معاوية صفِّين، ومات بالمُشَلَّل لسبع ليال بقين من المحرَّم سنة أربع وستين، وكان قد أصابه الفالج.

ولما نَبَشَتْهُ أمُّ ولد يزيد بن عبد الله وجدت معه في القبر ثعباناً قد التوى على عنقه يَمَصُّ أرْنَبَةَ أنفه، وكان له بضع وتسعون سنة، وكانت به النَّوْطَة، وهي ورمٌ يكون في نحر البعير وأرفاغِه[(٢)].

وأوصى لبني مُرَّة بزَرَّاعته[(٣)] التي بحوران صدقة، وما أغلقت عليه أمُّ ولده بابَها فهو لها[(٤)].

المِسْوَرُ بن مَخْرَمَة

ابن نوفل بن أُهيب بن عبد مناف بن زُهرة، أبو عبد الرحمن، من الطبقة الخامسة من أهل مكة، ممَّن قُبض رسولُ الله ﷺ وهم حُدثاء الأسنان[(٥)].

---

(١) تاريخ دمشق (الطبعة المذكورة آنفاً) وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) جمع رَفْغ، وهو أصل الفخذ. ينظر «القاموس».

(٣) الزَّرَّاعة: الأرض التي يُزرع فيها.

(٤) ينظر «تاريخ» الطبري ٥/ ٤٩٦-٤٩٧ ، و «تاريخ دمشق» ٦٧/ ٢٢٦-٢٣٩ (طبعة مجمع دمشق).

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٢١ .

وُلد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وحُفظ عنه أحاديث[١].

وأمُّه عاتكة بنت عوف أخت عبد الرحمن لأبيه وأمِّه.

قدم مصر سنة سبع وعشرين لغزو المغرب[١]، وكانت الخوارج تعظِّمه لدينه، وينتحلُون رأيه، وقد برَّأه الله منهم[٢].

[وقال البلاذري: لمَّا عاد المِسْور من عند يزيد بن معاوية سُئل عنه، فقال: يشرب الخمر، وينام عن الصلاة. وبلغ يزيد، فكتب إلى عامله: اجْلِدْهُ مئة جلدة. وقد ذكرناه][٣].

[وقال ابن سعد:][٤] خرج المِسْورُ إلى سوق ذي المجاز، فرأى رجلاً ألثغ يؤمُّ الناس، فأخّره، وقدَّم رجلاً آخر، فشكاه الرجل إلى عُمر رضوان الله عليه، فقال له: لِمَ فعلتَ هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، هذه أسواقٌ يجتمع إليها ناسٌ كثير، وعامَّتُهم أعراب لم يسمعوا القرآن، والرجلُ ألثغ [ـ أو أرَتّ ـ]، فخشيتُ أن يتفرَّقوا بالقرآن على لسانه، فقدَّمتُ رجلاً عربيّاً فصيحاً. فقال له عمر رضوان الله عليه: جزاك الله خيراً.

[وقال ابن سعد[٥]: لمَّا حُوصر عثمان؛ بعثَ بالمسور إلى معاوية يأمره أن يبعثَ إليه بالجيش لينصره. فركب معاوية رواحله من دمشق، وقدم المدينة في ثلاث رواحل ومعه مسلم بن عقبة ومعاوية بن حُديج، فدخل على عثمان نصف الليل، وكان قد قطع إليه البلاد في عشر ليال فقال له عثمان: وأين الجيش؟ فقال: ما جئتُك إلا في ثلاث رواحل[٦]، فقال له عثمان: لا وصل الله رحمك، ولا أعزَّ نصرك، ولا جزاك خيراً. فواللهِ ما أُقتَلُ إلا فيك، ولا انْتُقِمَ عليَّ إلا من أجلك. فقال له معاوية: لو بعثتُ إليك الجيش، فبلغَهم وصوله، عاجلوك فقتلوك، ولكن اخرج معي إلى الشام على

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ٢٨٧ (طبعة مجمع دمشق).

(٢) المصدر السابق ٦٧/ ٢٨٥.

(٣) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٥٦. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٤) في «الطبقات» ٦/ ٥٢٢. والكلام بين حاصرتين من (م).

(٥) في «الطبقات» ٦/ ٥٢٤. وهذا الخبر بين حاصرتين من (م).

(٦) في «الطبقات»: ثلاثة رهط.

النَّجائب، فواللهِ ما هي إلا ثلاث حتى ترى معالم الشام، فإنَّ الشام أكثر الإسلام (رجالاً) وأحسنُهم رأياً فيك. فقال عثمان: بئسما قلت، وبئسما أشرتَ به. وقد ذكرنا في السيرة طرفاً منه.

قال ابن سعد: ورجع معاوية إلى الشام، ورجع المسور إلى المدينة، وهو ذامّ لمعاوية غير عاذر له. وهذا كان في الحصار الأول.

قال ابن سعد: فلما كان في الحصار الثاني بعث عثمان بالمسور أيضاً إلى معاوية، فأغذَّ السير (حتى قدم) على معاوية، فقال: أدرك عثمان. فقال معاوية: إنَّ عثمان أحسنَ فأحسنَ الله إليه، ثم غيَّر فغيّر الله به. ثم قال: يا مسور، تركتُم عثمان حتى إذا كانت نفسه في حنجرته جئتم فقلتُم: اذهبْ فادفعْ عنه الموت! ليس ذلك بيدي.

قال: ثم أنزَلَني معه في مَشْرُبَة[١] على رأسه، فما دخل عليَّ أحد حتى قُتل عثمان.

قال: ولما أنزلني معاوية في المَشْرُبَة؛ قلتُ: أُريد أن أُخبر أهلَ الشام، فقال لي: لا يا أبا عبد الرحمن. وكانت كنية المسور أبو عبد الرحمن][٢].

[وقال ابن سعد[٣]: كان المسور لا يشرب من الماء الذي يوضع في المسجد، ويقول: هو صدقة].

وكان المسور يصوم الدهر[٤].

وكان يقول: لقد وارت الأرضُ أقواماً لو رأوني جالساً معكم لاستحييتُ منهم[٥].

وسمع ابناً له يحلفُ ويقول: كفرتُ بالله. فضرب بيده في صدره وقال: قل: آمنتُ بالله. ثلاثاً[٦].

---

(١) المَشْرَبَة، بفتح الراء، وتضم: الغرفة أو العِلِّيَّة. ينظر «القاموس».

(٢) هذا الخبر وهو ما بين حاصرتين من (م)، والألفاظ الواقعة فيه بين أقواس عادية من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢٤_٥٢٥ ، والخبر فيه.

(٣) في «الطبقات» ٦/ ٥٢٥ . وذكره ابن عساكر ٦٧/ ٢٩٤ ، وهو من النسخة (م).

(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٢٦ ، وتاريخ دمشق ٦٧/ ٢٩٤ .

(٥) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٢٥ ، وتاريخ دمشق ٦٧/ ٢٩٥ .

(٦) طبقات ابن سعد ٦/ ٥٢٥ .

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها، فقال قوم:] قتل في المعركة يوم قتل المنذر بن الزبير(١).

وقيل: كان قائماً عند البيت يصلّي، فجاء حجرُ المنجنيق، فأصاب حائطَ الكعبة، فجاءت منه فلقة، فضربت وجه المسور، فمرضَ أياماً، ثم ماتَ في اليوم الذي جاء فيه نعي يزيد(٢).

وقال الشيخ موفق الدين ﵁(٣): قدم المسور المدينة في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة، فسمع من النبي ﷺ، وحفظ عنه، وكان فقيهاً من أهل الفضل والدين، ولم يزل بالمدينة حتى قُتل عثمان، فانتقل إلى مكة، ولم يزل بها حتى مات معاوية، فكره بيعةَ يزيد، وصار إلى ابن الزُّبير، وقاتل معه، وأبلى بلاءً حسناً. فبينا هو يصلي يوماً في الحِجْر جاءه حجر المنجنيق، فقتله في مستهلّ ربيع الأول سنة أربع وستين، وصلَّى عليه ابنُ الزُّبير، ودفن بالحَجُون وهو ابن اثنين وستين سنة، وصلَّى عليه ابنُ الزبير وأهلُ الشام(٤).

وأسند الحديث عن رسول الله ﷺ، وروى عن أبي بكر، وعُمر، وعثمان، وعليّ، وخالِه عبد الرحمن بن عوف، وأبي هريرة، ﵃، وغيرِهم.

وروى عنه علي بن الحُسين، وعبدُ الله وعروة ابنا الزبير، وعبدُ الله بنُ أبي مُلَيْكة، وابنُه عبد الرحمن بن المسور، وابنتُه أمُّ بكر بنت المسور.

ذكر أولاده:

كان له من الولد: عبد الرحمن، وآمنة، ورَمْلَة، وأمُّ بكر، وصفيّة(٥)؛ أمُّهم أمَةُ الله بنتُ شُرَحْبيل بن حسنة.

---

(١) قُتل المنذر بن الزبير في هذه السنة (سنة ٦٤) في حصار مكة. وسيفرد المصنف ترجمته قريباً.

(٢) نُسب هذا القول في (م) لابن سعد والزبير بن بكار، وهو في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢٩. وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٨٨.

(٣) في «التبيين في أنساب القرشيين» ص ٢٩٢-٢٩٣. باختلاف يسير.

(٤) قوله آخر الفقرة: وصلَّى عليه ابنُ الزبير وأهل الشام، ليس في «التبيين».

(٥) في «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢١: صُفَيًّا.

obeikandl.com

وأبو بكر [بن] عبد الرحمن بن المِسْوَر كان شاعراً، وهو القائل[١]:

بينما نحنُ بالبَلاكِثِ فالقا ... عِ[٢] سِراعاً والعِيسُ تهوي هُوِيَّا
خَطَرَتْ خَطْرَةٌ على القلبِ من ذِكْـ ... ـراكِ وَهْناً فما استطعتُ مُضِيَّا
قلتُ لبَّيكِ إذ دعاني لكِ الشَّوْ ... قُ وللحادِيَيْنِ[٣] كُرَّا المَطِيَّا

وكان للمِسْوَر من الولد[أيضاً][٤]: عبدُ الله، وهشام، ومحمد، والحصين[٥]، وحفصة، أمُّهم بنتُ الزِّبرقان بن بدر، وبُرَيْهة، وأمُّها بادية بنت غَيْلان الثقفي، وعَمْرو، وحمزة، وجعفر، وعَوْن، لأمَّهات أولاد شتَّى.

مصعب بنُ عبد الرحمن بن عوف

أبو زُرارة، من الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وأمُّه أمُّ حُرَيْث[٦] من سَبْي بَهْراء، من قُضاعة.

وكان شجاعاً، وكان على شرطة مروان بالمدينة، فأمره أن يهدم دور بني هاشم ومن كان في حيِّزهم[٧]، فقال: أيها الأمير، إنه لا ذنب لهؤلاء، وما أنا بفاعل، فقال مروان: انتفخ سَحْرُك[٨]، أَلْقِ سيفَنا.

(١) كذا نَسبَ الأبيات ابن قتيبة في «الشعر والشعراء» ٢/ ٥٦٢ ، والتبريزي في «شرح الحماسة» ٣/ ١٢٤ لأبي بكر ابن عبد الرحمن بن المسور، وذكر ابنُ قتيبة أنها من الشعر الذي نُحِلَهُ مجنون ليلى. ونَسَبَ الزُّبير بن بكار الأبيات ـ فيما ذكر ابن عبد ربّه في «العقد» ٦/ ٤٧ ـ للمسور بن مخرمة، ونَسبَ ياقوت الأبيات في «معجم البلدان» ١/ ٤٧٨ لكُثيِّر، ونُسب في «الحماسة» (الشرح المذكور)، وفي «اللسان» (بلكث) ٢/ ١١٩ لبعض القرشيين.

(٢) بَلاكِثُ والقاع: موضعان بالمدينة.

(٣) في (خ) (والكلام منها): قلت للشوق إذ دعاني لبيك وللحاديَيْن... والمثبت من المصادر المذكورة قبل.

(٤) كذا وقع سياق الكلام في (خ) (والكلام منها فقط) وزدتُ لفظة «أيضاً» بين حاصرتين من أجل السياق. فقد سلف ذكر بعض ولده. وينظر «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢١ .

(٥) بعده في (خ): وعون. وسيرد اسمه، والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٦/ ٥٢١ والكلام منه.

(٦) في (خ): أمّ حرب. والتصويب من «طبقات» ابن سعد ٣/ ١١٨ـ١١٩ و٧/ ١٥٦ .

(٧) كذا وقع في (خ) (والكلام منها) وهو وهم. وإنما الذي أمره بهدم دور بني هاشم (ودورِ بني أسد أيضاً) عمرُو بن سعيد الأشدق والي المدينة ليزيد وذلك لمَّا أبى الحسين بنُ علي وعبد الله بنُ الزبير ﷺ بيعةَ يزيد. وقد كان مصعب بن عبد الرحمن على شُرَط عَمرو، وقبل ذلك على شُرَط مروان في زمن معاوية. ينظر «نسب قريش» ص ٢٦٨ ، و«الأغاني» ٥/ ٧٤ـ٧٥ .

(٨) كذا وقع، وإنما القائل عمرو بن سعيد الأشدق، وينظر التعليق السالف قبله. قوله: انتفَخَ سَحْرُك، أي: رئتُك؛ أي: تجاوَزْتَ قدرك. وقال ابن الأثير في «النهاية» ٢/ ٣٤٦ : يقال ذلك للجَبَان.

فألقاه، ثم خرج إلى عبد الله بن الزُّبير، فكان معه، وهو الذي قاتل عمرَو بنَ الزُّبير.

وخرج مصعبُ والمختار[١] إلى مَسْلَحةٍ للحُصين فحاربوهم، فأصبحوا وقد قَتَلُوا من أهل الشام مئة.

وكان يُعرف قتلى مصعب بوَثَبَاتٍ يشْبُهنَّ، فكان بين كل وَثْبة ووَثْبة أحد عشر[٢] ذراعاً، وكان لا يخفى جُرحُ سيفِه.

والتقى أهلُ الشام وأصحابُ ابنِ الزبير، فحمل مصعب، فقتل من أهل الشام خمسين رجلاً[٣]، ورجع وقد انحنى سيفُه، فقال:

إنَّا لَنُورِدُها بِيضاً ونُصْدِرُها حُمْراً وفيها انحناءٌ بعد تقويمِ

ذكر وفاته:

قُتل مع ابن الزُّبير، وقيل: مات بمكة سنة أربع وستين، وقد رثاه رجل من جُذام فقال:

للهِ عَيْنا مَنْ رأى مثلَ مصعبٍ أعَفَّ وأقضى بالكتابِ وأَفْهَما

وقالوا أصابَتْ مصعباً بعضُ نَبْلِهم فعزَّ علينا من أُصيب[٤] وعزَّ ما

ذكر أولاده:

زُرارة، وعبد الرحمن؛ أمُّهما ليلى بنت الأسود بن عوف، ومصعبُ بن مصعب لأمِّ ولد، وكان له بنات[٥].

ومن ولد مصعب: أبو مصعب أحمدُ بن أبي بكر[٦] بن الحارث بن زُرارة بن مصعب ابن عبد الرحمن، فقيهُ أهل المدينة، وهو صاحب مالك بن أنس[٧].

---

(١) زاد معهما في «نسب قريش» ص ٢٦٩ مصعب بن الزبير.

(٢) في «نسب قريش»: ثنتا عشرة.

(٣) في «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٥٨ : خمسة، بدل: خمسين رجلاً.

(٤) في (خ) (والكلام منها): ما أصاب، والمثبت من «نسب قريش» ص ٢٦٩ . وفيه بيتان آخران.

(٥) ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٥٦ .

(٦) واسم أبي بكر: القاسم.

(٧) وله رواية للموطَّأ فيها زيادات على غيرها، وقد طُبعت. توفي سنة (٢٤٢). ينظر «السِّيَر» ١١/ ٤٣٨ .

معاوية بن يزيد بن معاوية

مات حتف أنفِه. وقيل: إن بني أمية دَسُّوا إليه سُمّاً، فأكله فمات. وقيل: إنه فُلِجَ ومات، وكان الضحَّاك يصلِّي بالناس.

وقيل لمعاوية: ألا تستخلفُ أخاك خالداً؟ فقال: لا أتحمَّلُها حيّاً ولا ميتاً.

ولما احتُضر اجتمع إليه بنو أمية وقالوا له: اعهد إلى من ترى من أهل بيتك. فقال: والله ما ذُقْتُ حلاوةَ خلافتكم، فكيف أتقلَّد وِزْرَها؟!

وفي رواية: كيف أتعجَّلُ مرارتها وتتعجَّلُون أنتم حلاوتَها؟ اللهم إني بريءٌ منها متخلٍّ عنها، اللَّهم إنّي لا أجدُ [نفراً] كأهلِ الشورى فأجعلها إليهم فينصبون من يرون لها أهلاً[1].

ثم قال لحسان بن مالك خازن بيت المال: احفظ ما قِبَلك حتى يجتمع الناس على إمام يرضَوْنه[2].

وصلَّى عليه الوليد بن عُتبة، فكبَّرَ تكبيرتين، فطُعن في الثالثة، فوقع ميتاً، فتقدَّم عثمان بن عنبسة، فصلَّى عليه، ودُفن بالباب الصغير عند قبور آبائه، وبكى الناس عليه، وحزنوا لفقده لعفَّته وزَهادته، وكان رَبْعاً نحيفاً تعتريه صُفْرة، ونقش خاتمه: الدنيا غرورة.

و[كانت][3] مدة ولايته أربعين يوماً، وقيل: ستين. وقيل: عشرين. وقيل: ثلاثة أشهر.

وعاش ثلاثاً وعشرين سنة. وقيل: خمس عشرة سنة. وقيل: عشرين سنة. وقيل: ثلاثة عشر. والأول أصحّ[4].

---

(١) ينظر «مروج الذهب» ٥/ ١٦٩ ، وفيه: ينصبون من يرون الخ (بدون فاء) وهو الأشبه. وما سلف بين حاصرتين منه.

(٢) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٨ و٣٩٩ .

(٣) ما بين حاصرتين لضرورة السياق.

(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٦-٣٩٧ ، و« تاريخ دمشق» ٦٨/ ٤٠٤-٤٠٩ (طبعة مجمع دمشق).

وانقضى بموته مُلْك بني حَرْب، وزال الأمر عنهم، ولم يكن لمعاوية عقب، ووليَها مروان وبنوه.

المنذر بن الزبير بن العوَّام

أبو عثمان، وأمُّه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، من الطبقة الثانية[١] من أهل المدينة.

وكان شجاعاً سخيّاً، غزا مع يزيد بن معاوية القسطنطينية.

وغاضب المنذرُ أخاه عبدَ الله، وخرج إلى معاوية، فأعطاه ألفَ [ألفِ] درهم، وأقطعه موضعَ دارِه بالبصرة[٢]، واحتُضر معاوية في تلك الحال [قبل أن يقبض جائزته، وأوصى معاوية أن يَدخل المنذرُ في قبره] فدخل قبره، فلما قدم يزيد أمضاها له، فقيل ليزيد: [تعطي] هذا المال للمنذر وأنت تتوقَّع خلاف أخيه عبد الله عليك! فقال: أكرهُ أن أردَّ شيئاً فعلَه أبي[٣].

وكتب له إلى عُبيد الله بن زياد بإنفاذ قطائعه، وزاده عليها. وخرج من البصرة، فأتى مكة صُبْح ثامنة[٤]. فسمع أخوه عبدُ الله صوتَه، فقال: هذا أبو عثمان، جاشَتْه إليكم الحرب. فأقام عند أخيه يقاتل معه حتى قُتل.

وخرج المنذر إلى أهل الشام في اليوم الذي قُتل فيه وهو يقول:

لم يبقَ إلا حَسَبي وديني ... وصارمٌ[٥] تلتذُّه يميني

---

(١) يعني من التابعين. ينظر «طبقات» ابن سعد ٧/ ١٨١، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٠٣ (مصورة دار البشير).

(٢) بعدها في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٠٤، و«مختصره» ٢٥/ ٢٤٨: بالكَلَّاء التي تُعرف بالزُّبير، وأقطعه موضع ماله بالبصرة الذي يُعرف بمنذران.

(٣) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٠٤ (مصورة دار البشير) و«مختصره» ٢٥/ ٢٤٨، وما بين حاصرتين منهما.

(٤) في الكلام اختصار مخلّ، فجاء في المصدرين السابقين أنه ورد على يزيد بن معاوية خلافُ عَبدِ الله بنِ الزُّبير له وإباؤه بيعتَه، فكتب يزيد إلى عُبيد الله بن زياد بذلك، وأمرَه بأن يبعث إليه المنذرَ بنَ الزبير، فأخبر ابنُ زياد المنذرَ بالكتاب، وخيَّره بين أن يبقى عنده ويشتمل عليه ابنُ زياد، أو أن يخرجَ حيث شاء، فاتفقا على كتمان الكتاب ثلاث ليال ريثما يخرج المنذر من البصرة، فخرج منها وأصبح بمكة صُبْح ثامنة ...

(٥) في «تاريخ دمشق» ١٧/ ٢٠٦: وصارمي. وفي «مختصره» مثل ما هنا.

فلما قتل قال عبد الله: قُتل المنذر، وقاتلَ عن حَسَبه ودينه.

وقتل وله أربعون سنة.

وكان ولدُه **محمدُ بنُ المنذر** يُعْدَلُ بكثير من أعمامه [أعيان] بني الزبير مروءةً وشجاعةً ولساناً وجَلَداً، وكان من فرسان عمِّه عبد الله.

[وقدم على عبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير] يطلب مالَه، وكان قد قُبض [مع ما قُبض من أموال ابنِ الزبير] فكان يحيى بن الحكم[1] عند عبد الملك فقال له يحيى: يا محمد، مَنْ صاحبُ يوم كذا وكذا، ويوم كذا وكذا؟ فعدَّدَ وَقَعاتٍ ومحمدٌ يقول: أنا. فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، هذا الذي فعل بنا الأفاعيل! فقال محمد: رُدُّوا عليَّ سيفي، وخُذُوا أَمانَكم، فلا حاجةَ لي به. فقال عبد الملك: لا تفعل.

وكان لمحمد ابنٌ يقال له: فُليح بن محمد، وكان له قَدْرٌ وفضل[2].

النعمان بن بشير

ابن سعد بن ثعلبة بن خلَّاس بن زيد بن مالك بن الأغرّ بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، أبو محمد[3]، من الطبقة الخامسة من الخزرج، وممَّن توفّي رسول الله ﷺ وهم حُدَثاء الأسنان.

وأُمُّه عَمْرَةُ بنتُ رواحة[4]، وفيها قال الشاعر:

وعَمْرَةُ من سَرَواتِ النِّسا ءِ تَنْفَحُ بالمِسْكِ أردانُها[5]

---

(١) في (خ) (والكلام منها): يحيى بن مروان، والتصويب من «تاريخ دمشق» ٦٥/ ٢٤ (طبعة مجمع دمشق) وما سلف بين حاصرتين منه، ولا يستقيم الكلام بدونه، وثمة أخطاء لغوية مع تحريف في (خ) لم أُثبته كي لا تطول الحواشي بما لا فائدة فيه، وإنما أكتفي بما أذكره لتوضيح سوء هذه النسخة، وليس لديّ في هذه الصفحات نسخة أخرى.

(٢) ذكره ابن حبّان في «الثقات» ٩/ ١١ . وينظر «تعجيل المنفعة» ص ٣٣٥ .

(٣) وفي «طبقات» ابن سعد ٥/ ٣٦٣ : أبو عبد الله، وذكر له الكنيتين ابنُ عساكر. ينظر «مختصر تاريخ دمشق» ٢٦/ ١٦٠ .

(٤) هي أخت عبد الله بن رواحة رضي الله عنه.

(٥) البيت لقيس بن الخَطِيم. وينظر «المعارف» ص ٢٩٤ ، و«الأغاني» ١٦/ ٢٨ ، و«العقد الفريد» ٦/ ٢٠٩ . قوله: أردانُها؛ جمع رُدْن، وهو الكُمّ.

وقال عبد الملك بن عمير: إن بشيرَ بنَ سعد أبا النعمان لمَّا ولدَ النعمان؛ جاء به إلى رسول الله ﷺ، فحنَّكه بيده، فقال: يا رسول الله، ادْعُ اللهَ أن يُكْثِرَ مالَه وولَدَه. فقال له: «أما تَرْضَى أن يعيشَ كما عاش خالُه حميداً، ويموت شهيداً، ويقتله منافقٌ من أهل الشام»[١]؟.

والنعمان أوّلُ مَنْ نصرَ عثمانَ رضوان الله عليه، وخرج بقميصه إلى الشام.

واستعملَه معاوية على الكوفة، وأمرَه أن يزيدَ في أعطياتهم عَشَرَةَ دنانير، فكان يعطي بعضاً ويمنعُ بعضاً ويقول: أنا قُفْلٌ، ومفتاحُه بالشام.

وكان يُكثر تلاوة القرآن على المنبر ويقول: إن فقدتُموني لم تجدوا أحداً يحدِّثُكم عن رسول الله ﷺ بعدي.

وشَكَوْه إلى معاوية، فكتب إليه: كَمِّلْ لهم أُعطياتِهم. فقال ابنُ همَّام السَّلُولي:

أفاطِمُ قد طال التَّدَلُّلُ والمَطْلُ ... أجِدَّكِ[٢] لا صَرْمٌ جَلِيٌّ ولا وَصْلُ
زيادَتُنا نعمانُ لا تَحْبِسَنَّها ... تقِ[٣] اللهَ فينا والكتابَ الذي تتلُو
فإنك قد حُمِّلْتَ فينا أمانةً ... وقد عجَزَتْ عنها الصلادِمَةُ[٤] البُزْلُ[٥]
فلا يكُ بابُ الشَّرِّ تُحسِنُ فَتْحَهُ ... [علينا] وبابُ الخيرِ أنتَ له قُفْلُ
وقد نِلْتَ سلطاناً عظيماً فلا يكنْ ... لغيركَ جَمَّاتُ النَّدَى ولك البُخْلُ

---

(١) لفظ هذه الرواية ملفَّق من روايتين، الأولى: عن عبد الملك بن عُمير أنَّ بشير بن سعد جاء بالنعمان بن بشير إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ادْعُ لابني هذا، فقال له رسول الله ﷺ: «أما ترضى أنْ يبلغ ما بلغتَ، ثم يأتي الشام، فيقتله منافق من أهل الشام؟». والرواية الثانية: عن عاصم بن عمر بن قتادة أنَّ عَمْرَةَ بنت رواحة جاءت تحمل ابنها النعمان في لِيفِهِ إلى رسول الله ﷺ، فدعا بتمرة فمضغها، ثم حنّكه بها، فقالت: يا رسول الله، ادْعُ الله أن يُكثرَ مالَه وولدَه. فقال: «أوَ ما تَرْضَيْنَ أن يعيشَ كما عاش خالُه؟ عاش حميداً، وقُتل شهيداً، ودخل الجنة». أخرجهما ابن سعد في «الطبقات» ٥/ ٣٦٤ و٣٦٥، وأخرجهما من طريقه ابن عساكر في «تاريخه» ١٧/ ٥٩٠ (مصورة دار البشير). وينظر «الاستيعاب» ص ٩٢٢ (ترجمة عمرة بنت رواحة).

(٢) في «القاموس» و«التاج» (جدد): أَجِدَّكَ، بفتح الجيم وكسرها، والكسر أفصح، أي: مالَكَ؟ أجِدّاً منك؟ فإذا كسر استحلفَه بجِدِّه، وإذا فتح استحلفَه ببَخْتِه.

(٣) في «الأغاني» ١٦/ ٣١ : خف.

(٤) الصِّلْدام: الصُّلب الحافر. ورواية «الأغاني»: الصلاخمة، والصِّلْخام من الإبل: الصُّلْب الشديد.

(٥) البُزُل: جمع بازل، وهو الجملُ في تاسع سِنِيِّه. (وتسكين الزاي لضرورة الشعر).

obeikandl.com

وأنتَ امرؤٌ حُلْوُ اللسانِ بليغُهُ فما بالُهُ عند الزيادةِ لا يَحْلُو
وقبلَك ما كانَتْ علينا أئمَّةٌ يَهُمُّهُمُ تقويمُنا وهُمُ عَضْلُ[1]
يذمُّون دُنْيانا وهم يَرْضَعُونَها أفاوِيقَ حتى مالَنا منهُمُ سَجْلُ[2]
إذا نطقُوا بالقولِ قالُوا فأحسَنُوا ولكنَّ حُسْنَ القولِ خالفَهُ الفعلُ[3]

ولما عزلَ معاويةُ النعمانَ عن الكوفة ولّاه حمصَ، فوفد عليه أعشى هَمْدَان، فقال: ما أقْدَمَك أبا المُصَبِّح؟ قال: لتَصِلَني وتقضيَ ديني. فقال: واللهِ ما عندنا شيء. ثم صَعِدَ المنبر وقال: يا أهل حمص، أنتُم في الديوان عشرون ألفاً، وهذا ابنُ عمٍّ لكم من أهل القرآن والشرف؛ قدم عليكم يسترفدُكم، فما ترون فيه؟ فقالوا: أيُّها الأمير، احكم بما تراه. فقال: بل أنتم. فقالوا: قد جعلنا له من كلِّ عطاء رجل منَّا دينارين معجَّلة من بيت المال. فدفعَ له أربعين ألف [دينار] معجَّلة، فقال الأعشى:

فلم أرَ للحاجات عند انكماشِها كنعمانَ نُعمانِ النَّدى ابنِ بشيرِ
إذا قال أوْفَى بالمقال ولم يكن كَمُدْلٍ إلى الأقوام حَبْلَ غُرورِ[4]

يُعرِّضُ بمروان؛ لأنه قصده، فوعَدَه ومَطَلَهُ، فلم يلقَ منه خيراً.

وقال الهيثم: أقام النعمان والياً على الكوفة سبعة أشهر[5]، ثم عاد إلى الشام.

ذكر مقتله:

لما بلغَ النعمانَ وهو بحمص مقتلُ الضَّحَّاك بالمَرْج؛ خرجَ هارباً ليلاً ومعه امرأتُه نائلة بنت عُمارة الكلبيَّة وولدُه، وثَقَلُه، فقصدَ زُفَر بن الحارث، فضلَّ عن الطريق، وطلبه عَمرو[6] بن الخلي الكلاعي، ـ وكان النعمان قد حدَّه في الخمر ـ فقتلَه وأقبلَ

---

(١) جمع أعْصَل، وهو المعوجُّ في صلابة.

(٢) الأفاويق جمع الفِيقة، وهو اللبن الذي يجتمع في الضَّرع بين الحَلْبَتَيْن، والسَّجْل هنا: النَّصيب.

(٣) الأبيات في «أنساب الأشراف» ٤/ ٢٠ـ٢١ ، وما بين حاصرتين منه، وهي بنحوها في «الأغاني» ١٦/ ٣١ ، وفيهما أبيات أخرى.

(٤) ينظر «الأغاني» ٦/ ٤٩ـ٥٠ و١٦/ ٣٤ ، و«الاستيعاب» ص ٧٢٤ ، و«تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٩١ـ٥٩٢ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٢٦/ ١٦٢ .

(٥) الاستيعاب ص ٧٢٤ . وفي «تاريخ دمشق» ١٧/ ٥٨٦ و«الجرح والتعديل» ٨/ ٤٤٤ : تسعة أشهر.

(٦) كذا في «أنساب الأشراف» ٥/ ٣١٧ . وفي غيره من المصادر: خالد.

برأسه وبنائلة امرأتِه وولدها، فألقى الرأس في حِجْر ابنتِه أمّ أبان، فقالت نائلة: ألقُوه في حِجْري، فأنا أحقُّ به منها. فأُلقي في حِجْرها. وجاءت كلب، فأخذوا نائلةَ وولدَها.

وقُتل غِيلة ما بين حمص وسَلَميَّة، وقيل: بقرية من قُرى حمص يقال لها: بِيرِين[١].

ذكر أولاده

فولدَ [النعمانُ] عبدَ الله، ومحمداً، وأمةَ الله، وحَبِيبة؛ أمُّهم أمُّ عبدِ الله بنت عمرو ابن جَرْوَة[٢]، أنصاريَّة.

ويزيدَ، وأباناً، وأمَّ أبان؛ تزوَّجها الحجَّاجُ؛ أمُّهم نائلة الكلبيَّة.

والوليدَ، ويحيى، وبشيراً؛ أمُّهم أمُّ ولد.

وأمَّ محمد، وهي حُميدة بنتُ ليلى، من كِنْدة؛ تزوَّجها رَوْح بنُ زِنباع الجُذامي.

وعمرةَ؛ تزوَّجها المختار بنُ أبي عُبيد؛ وأمُّها ليلى بنتُ هانىء؛ كندية[٣].

أسند النعمان عن النبيِّ ﷺ أحاديث[٤].

وأبوه شهدَ العقَبَةَ وبدراً وأحداً والمشاهدَ كلَّها[٥].

ومحمد بن النعمان؛ روى عن أبيه، وروى عنه الزُّهري، وسمع منه بدمشق. وكانت له دار بدمشق[٦].

وهو من الطبقة الثانية من التابعين من أهل المدينة[٧]، وذكره ابن سُميع في الرابعة وقال: هو دمشقي ثقة[٨].

---

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٣١٧، والاستيعاب ص ٧٢٥، وتاريخ دمشق ١٧/ ٥٨٦_٥٨٧، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٤١٧. ووقع في «الاستيعاب»: بيران، والصواب: بِيرِين كما هو مثبت، وذكرها ياقوت في «معجم البلدان» ١/ ٥٢٦.

(٢) في (خ): أم عبد الله بن عمرو بن حزم. والمثبت من «طبقات» ابن سعد ٥/ ٣٦٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) له مئة حديث وأربعة عشر حديثاً، أخرج له في الصحيحين عشرة أحاديث، المتفق عليه منها خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة. ينظر «تلقيح فهوم أهل الأثر» ص ٣٦٥ و٤٠١.

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٩٢_٤٩٣.

(٦) تاريخ دمشق ٦٥/ ١٢٨ (طبعة مجمع دمشق).

(٧) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٦٤_٢٦٥.

(٨) وهو من رجال «تهذيب الكمال» ٢٦/ ٥٥٧، روى له الجماعة سوى أبي داود.

[رَوْح بنُ زِنْباع]

وكان رَوْح بنُ زِنْباع[١] بن سلامة الجُذامي رئيساً في قومه جُذام سيِّداً، وكنيتُه أبو زُرْعة، وقيل: أبو زِنْباع.

وكان ممَّن ثبت مع مروان، ولم يُبايع ابنَ الزُّبير وقال: واللهِ لا نرضى أن ينتقل المُلك من الشام إلى الحجاز[٢].

وشدّ من مروان حتى ولي الخلافة.

وكان أميراً على فلسطين، فنُسب إليها، وكان خِصِّيصاً بعبد الملك، لا يقدر أن يصبر عنه[٣].

وكان لأبيه زِنْباع صحبة، واختلفوا في رَوْح، فقال مسلم: كان له صحبة ورواية[٤].

وكذا قال الشيخ جمال الدين ابن الجوزي رحمه الله. وقال أبو أحمد الحاكم: ليس له صحبة.

روى [رَوْح بنُ] زِنْباع عن عُبادة بن الصامت، ومعاوية، وكعب الأحبار، وغيرهم. وروى عنه ابنُه رَوْح [بنُ رَوْح][٥].

وقال هشام: جهَّز عبد الملك بن مروان جيشاً إلى ابن الزُّبير، فمروا بانقاع[٦] فيه راهبة، فناداها رَوْح، فأشرفت عليه بوجه كأنه فلقة قمر، فقالت: إلى أين يذهب هذا الجيش؟ فقال رَوْح: إلى ابن الزُّبير. قالت: وما تصنعون به؟ قال: نُقاتله. قالت: على

---

(١) كذا وقع في (خ) والكلام منها فقط. وجاء فوقه لفظ: كذا وجد. والكلام يتعلق بترجمة رَوْح بن زِنْباع، لذا زدتُ ما سلف قبله بين حاصرتين للإشارة إلى ذلك، ووفاتُه سنة (٨٤)، وليس في هذه السنة، ولعل المصنف أورده في وفيات هذه السنة لأنه لم يتبين له تاريخها كما سيرد. والله أعلم.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٣٠٢ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٨/ ٣٤١ .

(٣) في «تاريخ دمشق»: لا يكاد يغيب عنه.

(٤) الكنى والأسماء ١/ ٣٤٤ ، ونقله عنه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ص ٢٣٦ ، وليس فيهما قوله: ورواية. وقال ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦/ ٢٩٨ : أرسل عن النبي ﷺ.

(٥) تاريخ دمشق ٦/ ٢٩٨ . وما بين حاصرتين منه، والكلام من غير هذا الاستدراك يعود على زنباع، وهو خطأ.

(٦) كذا رسمُ اللفظة في (خ) ولم تتبيّن لي.

أيِّ شيء؟ قال: على الدنيا. فقالت: قبَّح اللهُ هذه الوجوه، واللهِ لو كانت الدنيا كلها لرجلٍ واحد ما كان غنيًّا بها مع الموت.

قال المصنف رحمه الله: لم أقف على تاريخ وفاة رَوْح بن زِنْباع[١].

وقد قيل: إنه يُدعى لغير أبيه، وكلُّ من لا يُدعى لأبيه يُقال له: رَوْح، وهي كنية المنبوذين.

قال رَوْح: رأيتُ تميماً الداريّ وهو أمير على بيت القدس وهو ينقّي شعيرَ فرسِه، فقلت له: أَمَا كان لك مَنْ يكفيك هذا؟ قال: بلى، ولكني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ ربطَ فرساً في سبيل الله، ثم تولَّى حَسَّه، ومسحه بيده، وتنقية شَعيرِه؛ كان له بكلِّ شَعِيرةٍ حسنة، وتُمحى عنه سيئة»[٢].

يزيد بن معاوية

ابن أبي سفيان صخر بن حرب، وأمُّه ميسون بنت مالك بن بَحْدَل[٣] بن أُنيف الكلبي.

وُلد سنة خمس ـ أو ستّ ـ وعشرين بالماطرون[٤]، وقيل: سنة سبعٍ وعشرين في بيت رأس[٥].

وهو أوَّلُ من أظهر شرب الخمر، والاستهتار بالغناء والصيد، واتخاذ الغلمان والقِيان والكلاب، وما يضحك منه المترفون، والدُّيوك والمنافرة بينهم، واللعب بالملاهي والقرود.

(١) ذكر ابن عساكر في تاريخه» ٦/ ٣٠٤ (مصورة دار البشير) عن ابن زَبْر أنه مات سنة أربع وثمانين بالأردنّ.
(٢) المصدر السابق ٦/ ٢٩٩.
(٣) في «تاريخ دمشق» ص ٣٩٧ (تراجم النساء): ميسون بنت بحدل. وتنظر ترجمة حسان بن مالك بن بحدل السالفة ص٢٥٩ والتعليق عليها.
(٤) موضع قرب دمشق. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ٤٢ـ٤٣.
(٥) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٩١ (مصورة دار البشير) أو «مختصره» ٢٨/ ١٩. وبيت رأس: اسم لقريتين في كل منهما كروم كثيرة ينسب إليها الخمر، إحداهما بالبيت المقدس، وقيل: كورة (يعني بقعة كبيرة فيها قرى) بالأردن. والأخرى من نواحي حلب. ينظر «معجم البلدان» ١/ ٥٢٠.

وكان له قرد يقال له: أبو قَيْس، فكان اليوم الذي يصبح يزيد فيه مخموراً يشدُّ القرد على فرسه يُسرِجُه بحبال من إبْرَيْسَم، والناس يمشون بين يديه، ومواكب الملك تُقاد بين يديه.

وكان ينادم هذا القرد، وكان يسقيه الخمر، ويُلبسه الأقبية الصُّفْر والحُمْر، وقَلانِس الذهب.

وكان يُسابق بين الخيل والقردُ عليها، وأركبَ القرد على أتان وحشيَّة، وأرسلَها في الحلبة، فقال يزيد:

تَمَسَّكْ أبا قيسٍ إذا ما ركبتَها ... فليس عليها إنْ هلكتَ ضمانُ
فقد سَبَقَتْ خيلَ الجماعةِ كلَّها ... وخيلَ أميرِ المؤمنين أتانُ[١]

فسبقت الأتانُ الوحشية [الخيلَ][٢] كلَّها، وسقطت ميتة، ومات أبو قيس معها، فحزن عليه يزيد، وكفَّنه ودفنَه، وأمر أهلَ الشام أن يُعزُّوه فيه وقال يزيد في ذلك:

لم يبقَ قرد[٣] كريم ذو محافظة ... إلا أتانا يعزِّي في أبي قيسِ
شيخ العشيرة أمضاها وأحملها ... له المساعي مع القربوس والدِّيسِ
يد الجياد على وحشية سبقت ... ثم انثنى وعمود الموت في الكيسِ
لا يُبعدُ اللهُ قبراً أنت ساكنُه ... فيه الكمال وفيه لحيةُ التَّيْسِ

وجاء نعي معاوية إلى يزيد وهو بحُوَّارين يتصيَّد، فلم يأتِ منزلَه حتى أتى قبر القرد فترحَّم عليه.

وكان يشربُ الخمر مع القرد، ويحمله ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمُسخ[٤].

وكان مُغْرًى بشرب الخمر مكثراً منه، وهو القائل:

أقولُ لصحبٍ جمَّع الكأسُ شملَهمْ ... وداعي صبابات الهوى يترنَّمُ

---

(١) الخبر والشعر بنحوه في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٧-٣١٨. وينظر «مروج الذهب» ٥/ ١٥٧-١٥٨.
(٢) زدتُ لفظة «الخيل» من قِبلي لضرورة السياق.
(٣) في «فوات الوفيات» ٤/ ٣٣٠: قَرْم.
(٤) ينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٨.

خُذُوا ما صفا من عيشنا قبلَ فَوْتِهِ فكلٌّ وإنْ طالَ المدى يتصرَّمُ
ألا إنَّ أَهْنَا العيشِ ما سَمَحَتْ به صروفُ الليالي والحوادثُ نُوَّمُ
ولا تتركوا يومَ السرورِ إلى غدٍ فرُبَّ غدٍ يأتي بما ليس نعلمُ(١)

وحكى البلاذُري(٢) أنَّ سبب وفاة يزيد أنه حملَ قِرْدَةً على أتان وهو سكران، ثم ركض خلفها، فسقط يزيد، فاندقَّت عنقه، أو سقط من جوفه شيء فمات.

وقال الهيثم: ما همَّ يزيدُ بشيء من القُبح إلا ارتكبه، ولم يحجَّ في خلافته شُغلاً بما كان فيه من اللهو.

ولما جهَّز يزيد مسلم بنَ عُقبة لقتال أهل المدينة وابنِ الزبير؛ أعجبه ذلك الجيش، فكتب إلى ابن الزبير:

أُدْعُو إلهك في السماء فإنَّني أَدْعُو إليك رجالَ عَكَّ وأشْعرِ
كيف النجاةُ أبا خُبيبٍ منهمُ فاحْتَلْ لنفسك قبل مأْتَى العسكرِ(٣)

فكتب إليه ابنُ الزبير: أتستهزىءُ بإلهي الذي في السماء؟! وأنت يزيد القرود، ويزيد الصيود، ويزيد الخمور، ويزيد الفسوق.. وعدَّد أفعاله.

فكتب إليه يزيد وقال:

لقد عبتَ ما لا عيبَ فيه على الفتى من الصيد واللذَّات والأكلِ والشُّربِ
ولكنَّما العارُ الشَّنَار الذي به يُعيّر خلق الله في الشرق والغرب
صيانة كف المرء عن بذلِ مالِهِ عن الطارق الملهوفِ والجارِ ذي الجَنْبِ

فسار يزيد إلى نخل(٤) ابن الزبير، ومات يزيد عقب وصول كتابه إلى ابن الزبير رضي الله عنه.

وكان يزيد قد عزم على الحجّ ويدخل اليمن، فقال رجل من تنوخ:

---

(١) ينظر «فوات الوفيات» ٤/ ٣٣١، وفيه زيادة أبيات. وينظر أيضاً «تمام المتون في شرح ابن زيدون» ص ٨٢.
(٢) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣١٨.
(٣) البيتان في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٦٠ و«مروج الذهب» ٥/ ١٦٢. وفي صدر البيت الأول نظر، ويُستبعد أن يقوله يزيد، وقد نُسب إليه ما لم يقله. قال البلاذُري: والشاميون يقولون: إنما قال: اجْمَعْ رجالَ الأَبْطَحَيْنِ فإنَّني أدعُو إليك الخ.
(٤) كذا في (خ)، وليس في هذا الموضع نسخة أخرى.

obeikandi.com

يـزيـدُ صـديـقُ الـقـردِ مَـلَّ جِـوارَنـا فـحـنَّ إلـى أرض الـقـرودِ يـزيـدُ
فتبّاً لـمـن أمـسـى [علينا] خـلـيـفـةً صـحـابـتُـه الأدنَـوْن مـنـه قـرودُ(١)

وجلست ميسون يوماً تُرجِّلُ ابنها يزيد وهي يومئذٍ مطلَّقة من معاوية، ومعاويةُ وامرأتُه فاختة في موضع ينظران إليهما ولم يعلما. فلما فرغت من تَرْجِيلِه قبَّلتْ ما بين عينيه.

ومضى يزيد، فأتْبَعَتْه فاختةُ بصرَها وقالت: لعن الله سواد ساقَي أمِّك. فقال معاوية: أما والله لقد تفرَّجَ وركاها عن خير ما انفرجَتْ عليه وركاكِ. فقالت فاختة: لا والله، ولكنَّك تحبُّ يزيد وتؤثِرُه. فقال: سوف أُبيِّنُ لك.

فدعا عبدَ الله ـ وهو ولد معاوية من فاختة وكان محمَّقاً، وهو أكبر من يزيد ـ وقال له: يا بُنيّ، سلني. فقال: تشتري لي كلباً فارهاً وحماراً سابقاً. فقال: أنت حمار، وأشتري لك حماراً! قم واخرج. ثم دعا يزيد وقال: سَلْني فقال: أسألُك الخلافةَ بعدَك، وأرجو أن أموتَ قبلك وتوليني الصائفة، وتأذن لي في الحجّ، وتزيد في عطاء أهل الشام عشرةَ دنانير لكلِّ رجل، وتفرض لأيتام بني جُمح وبني سهم وعديّ. فقال: مالَكَ ولبني عديّ؟ فقال: قد حالفوني. فقبَّلَ معاوية ما بين عينيه، وقال: قد فعلت(٢).

وكان يزيد شاعراً فصيحاً خطيباً، غزا القسطنطينيّة في حياة أبيه على جيشٍ فيه كثير من الصحابة، وحجَّ بالناس مراراً، ولكن ابتلاه الله في ولايته بالمفاسد؛ من قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته، ووقعة الحَرَّة، والتَّتْبِير والقتل، ورميِ البيت الحرام بالمجانيق وتحريقه، ونحو ذلك.

ولما توفّي الحسن بن علي رضوان الله عليه قال معاوية لابنه يزيد: اذهب إلى ابن عباس فعَزِّه. وكان ابنُ عبَّاس بالشام، فجاء يزيد، فجلس بين يدي ابن عبَّاس؛ فقال له ابن عباس: ارتفع. فقال: لا، هذا مجلس المعزِّي، لا مجلسُ المُهَنِّي(٣).

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٣١٩. وأثبتُّ منه ألفاظاً لم تجوَّد في (خ).
(٢) الخبر في «تاريخ دمشق» ١٨/ ٣٩٢ و٣٩٣ (مصورة دار البشير). وجمع فيه المصنف (أو المختصر) بين روايتين.
(٣) المصدر السابق ١٨/ ٣٩٥.

وقيل: خطباء قريش خمسة: معاوية، وابنُه يزيد، وعبدُ الملك بن مروان، وسعيد ابن العاص، وعبد الله بن الزُّبير.

ذكر وفاته:

توفي يزيد لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة أربع وستين[١].

وقيل: لتسع عشرة ليلة خلت من صفر[٢]. والأول أشهر.

ومات بدمشق، ودُفن بمقبرة الباب الصغير عند أهله. وقيل: مات بحُوَّارِين؛ قرية من قرى حمص [كان مولعاً بتلك الأماكن قبل ولايته] وهذا أشهر[٣].

وقد ذكرَتْه الشعراء في أشعارها فقال ابنُ عرادة يشير إليه:

أبني أميَّةَ إنَّ آخرَ ملككِم جسدٌ بحُوَّارين ثمَّ مقيمُ[٤]

وقال آخر:

يا أيها القبر بحُوَّارينا ضَمَمْتَ شرَّ الناسِ أجمعينا[٥]

وقيل لعمرو بن عَبْد[٦] الخولاني الذي خَلَفَ على امرأة أبي مسلم[٧]: ألا تُصلِّي على يزيد؟ فقال: تصلي عليه ظِباء حُوَّارِين.

وقيل: إنه مات بحُوَّارِين، وحُمل على أيدي الرِّجال إلى دمشق، فدفن بالباب الصغير عند أبيه [معاوية][٨].

---

(١) أنساب الأشراف ٤/ ٣٩٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٩.
(٢) نسب هذا القول في (م) للكلبي. وهو في «أنساب الأشراف» ٤/ ٢٩٣_٢٩٤.
(٣) ينظر المصدر السابق: والكلام بين حاصرتين من (م).
(٤) البيت مع بيتين آخرين في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٤.
(٥) كذا في «مروج الذهب» ٥/ ١٢٦، ونُسب البيت فيه لرجل من عذرة. وجاء في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٥ بروايتين: وفيهما: خير الناس أجمعينا، ونُسبا فيه لرجل من عَنَزَة يقال له: أبو بكر بن حنظلة.
(٦) في (خ) (والكلام منها): عبد الله. وهو خطأ.
(٧) في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٤: قيل لأبي مسلم...، بدل قوله: وقيل لعمرو بن عبد. الخ.
(٨) أنساب الأشراف ٤/ ٣٩٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٩، ونُسب الخبر في (م) لابن عساكر.

قال المصنف رحمه الله: والأشهر أنَّ قبره بحُوَّارين، وقد نبشه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس لما زال مُلك بني أمية من حُوَّارين، فلم يجد فيه إلا خطّاً من رماد[١]، [وسنذكره هناك].

وصلَّى عليه ابنُه معاوية. واختلفوا في سنّه على أقوال، أحدها: أنه مات ابنَ ثمان وثلاثين سنة[٢] والثاني: ابن تسع وثلاثين سنة، والثالث: ابن اثنتين وثلاثين سنة [وقد حكى هذه الأقوال الطبري][٣].

وينبغي أن نرجع في هذا إلى تحقيق مولده[٤].

واختلفوا في مدَّة ولايته، فقيل: ثلاث سنين وثمانية أشهر، وقيل: ثلاث سنين وتسعة أشهر.

[قلت:] والتاريخ يكشف ذلك، فإنه [لا خلاف أنه] وليَ عند موت أبيه في أول رجب سنة ستين، ومات في ربيع الأول سنة أربع وستين، فقد كملت له ثلاث سنين وثمانية أشهر وأياماً[٥].

[قال ابن الكلبي:] وكانت سني ولايته تُدعى سني الشُّؤم.

ذكر أولاده وأزواجه:

كان له من الأولاد: معاوية، وخالد، وعبد الله الأكبر، وأبو سفيان؛ أمُّهم فاختة بنت أبي هاشم بن عُتْبة بن ربيعة بن عبد شمس.

فأما معاويةُ فقد ذكرناه، وأما خالد، فنذكُره في سنة تسعين.

وكان ليزيد: عبدُ الله الأصغر، وعبدُ الرحمن، وعُتبة، ويزيد، ومحمد، وحرب، والربيع، وعبد الله ويلقب أصغر الأصاغر، وعُمر، وأبو بكر، وعثمان.

---

(١) في (خ): يزيد، بدل: رماد. والمثبت من (م)، والكلمتان الآتيتان بين حاصرتين منها.

(٢) في (خ): ومات وله ثمان وثلاثين! (كذا) بدل: واختلفوا في سنّه...إلخ. والمثبت من (م).

(٣) تاريخه ٥/ ٤٩٩ . والكلام بين حاصرتين من (م).

(٤) في (م): وينبغي أن نرجع في هذا إلى الخلاف في مولده على ما ذكرنا، فإن كان وُلد سنة خمس وعشرين، فقد كان ابن ثمان وثلاثين سنة، وعلى هذا الأسلوب.

(٥) في «تاريخ الطبري» ٥/ ٤٩٩ : ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمان ليال. (والكلام الواقع بين حاصرتين من م).

فهؤلاء خمسة عشر ذكراً.

وكان له من البنات: عاتكة، ورَمْلَة، وأمُّ عبد الرحمن، وأم يزيد، وأم محمد، فهؤلاء خمس[١].

وذكر له ابنُ عساكر ولداً آخر؛ قال: واسمُه أميَّة، من أهل عذراء، له ذكر[٢].

فنذكر أعيان أولاده، وقد انقرضوا، فلم يبق له عقب: عبد الله الأكبر، وأبو سفيان أشقاء خالد ومعاوية، وأمُّهم فاختة بنت أبي هاشم، و هي التي يقال لها: أمُّ خالد[٣]، وهي التي أشار إليها ابنُ سيرين فقال: أشْوَقُ بيتٍ قالته العرب قول يزيد بن معاوية:

إذا سرتُ مِيلاً أو تباعدتُ ساعةً ... دَعَتْني دواعي الشوق من أمِّ خالدِ

وتزوَّج [يزيد] أمَّ مسكين بنت عُمر[٤] بن عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم قلاها وطلَّقها، وكان يُبغض عُبيد الله بنَ زياد، فتزوَّجَتْه مغايظةً ليزيد، فقُتل عنها، فتزوَّجت محمد بنَ المنذر بن الزبير، ثم نافَرَتْه وقالت: واللهِ ما تزوَّجْتُك رغبةً فيك، ولكني أردتُ أن أغسلَ سوأةً وقعتُ فيها[٥].

وعبد الله الأصغر[٦]: يلقَّب بالأُسوار لجودة رميه، وكان فارساً صاحب خيل، وأمُّه أمُّ كلثوم بنتُ عبد الله بن عامر بن كُريز، وفيه يقول عديّ بن الرِّقاع العاملي:

علم الناسُ أنَّ خير قريشٍ ... حَسَباً حين يُنسبُ الأُسوارُ

بين حَرْب وعامر بن كُرَيْزٍ ... فأُولاكَ الأكابر الأخيارُ

---

(١) ينظر أولاد يزيد في «نسب قريش» ص ١٢٨-١٣٢، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٥-٣٩٦، و«تاريخ الطبري ٥/ ٥٠٠.

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ١٣٩ (مصورة دار البشير) ونقله ابن عساكر فيه عن ابن أبي العجائز.

(٣) أنساب الأشراف ٤/ ٣٩٥. وتاريخ دمشق ٣٩/ ٣٤٣ (طبعة مجمع دمشق).

(٤) في (خ) (والكلام منها): أم بكر بنت عمرو وهو خطأ. وزدتُ لفظة «يزيد» بين حاصرتين للإيضاح. وينظر «نسب قريش» ص ٣٦٠، و«تاريخ دمشق» ص ٥٤٨ (تراجم النساء - طبعة مجمع دمشق). ووقع في «أنساب الأشراف» ٤/ ٣٢١: أم مسكين بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.

(٥) أنساب الأشراف ٤/ ٣٢٢. وينظر «نسب قريش» ص ٣٦٠-٣٦١.

(٦) أنساب الأشراف ٤/ ٣٩٥ و٤٠٧. وجاء في «تاريخ دمشق» ٣٩/ ٣٤٤-٣٤٥ (طبعة مجمع دمشق): عبد الله الأكبر، ويقال: الأوسط. وينظر «نسب قريش» ص ١٢٩.

وعبدُ الرحمن بن يزيد: أمُّه أمُّ ولد، وكان ناسكاً، ذكره ابن سُميع في الطبقة الثالثة من أهل الشام(١).

وروى الحديث عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، وروى عنه محمد بن قيس قاضي عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه(٢).

وقال أبو زُرعة الدمشقي: خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية، وكانا من صالحي القوم(٣).

وكان عبد الرحمن خِلًّا لعبد الملك بن مروان، وهو الذي وعظ مَسْلَمَةَ بن عبد الملك لمَّا لامَه على التَّنسُّك والانقطاع إلى العبادة، فقال: يا مسلمة، هل أنتَ في الحال التي أنت فيها مستعدٌّ للموت؟ قال: لا. قال: فهل عزمتَ على التحوُّل عنها إلى حالة ترضى بها؟ قال: لا. قال: فهذه حال ما أقام عليها عاقل(٤).

وعُمر بن يزيد، أمُّه أمُّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر، مات في حياة أبيه، أصابته صاعقةٌ فأحرقته. وقيل: رعدت السماء فمات، فقال عبد الله بن همَّام:

عُمَرَ الخيرِ يا شَبِيهَ أبيهِ ... أنتَ لو عشتَ قد خَلَفْتَ يزيدا
سُلِّطَ الحَتْفُ في الغمام عليه ... فتلقَّى الغمامُ رُوحاً سعيدا
أيُّها الراكبانِ من عَبْدِ شمسٍ ... أبْلِغا الشامَ أهلَها والجُنُودا
أنَّ خيرَ الفتيانِ أصبحَ في لَحْـ ... ـدٍ وأَمْسى بين الكرام فقيدا(٥)

وعُتبة بن يزيد الأعور، روى عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه(٦).

وأما بنات يزيد؛ فمنهن عاتكة بنت يزيد [تزوَّجها عبد الملك بن مروان] فأولدها يزيدَ بنَ عبد الملك، وليَ الخلافة(٧).

---

(١) تاريخ دمشق ٤٢/ ١١٥ (طبعة مجمع دمشق).
(٢) المصدر السابق ٤٢/ ١١٢.
(٣) المصدر السابق ٤٢/ ١١٥.
(٤) تنظر روايات الخبر في المصدر السابق ٤٢/ ١١٨-١١٩.
(٥) أنساب الأشراف ٤/ ٤٠٩، وتاريخ دمشق ٥٤/ ٣١٧ (طبعة مجمع دمشق).
(٦) تاريخ دمشق ٤٥/ ١٤٥ (طبعة مجمع دمشق). وينظر «أنساب الأشراف» ٤/ ٤١٠.
(٧) وليَ الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز. وزدتُ ما بين حاصرتين من عندي لضرورة السياق.

وإليها تُنسبُ أرض عاتكة خارج باب الجابية، وكانت بها قصور عاتكة، وتمتدُّ منها إلى جانب بَرَدَى(١).

وكانت عاتكة من أشرف نساء قريش، جليلة نبيلة عاقلة، من الطبقة الثالثة من نساء قريش، دمشقية، [ذكرها أبو زرعة] فيمن حدَّث بالشام من النساء، روى عنها المهاجر الأنصاري(٢).

وهي التي بكت لما توجَّه عبد الملك بنُ مروان لقتال مصعب بنِ الزبير و[بكى] معها أترابُها وجواريها، فقال عبد الملك: قاتلَ اللهُ ابنَ أبي جمعة(٣) حيث يقول:

إذا ما أراد الغزوَ لم تَثْنِ هَمَّهُ ... حَصَانٌ عليها نظم دُرٍّ يَزِينُها

نَهَتْهُ فلمَّا لم تَرَ النَّهيَ عاقَهُ ... بكَتْ فبكى ممَّا عراها قطينُها

قال المصنف رحمه الله: وقد اتفق لابنتها فاطمة. . .(٤)

وكانت [عاتكةُ](٥) تضع خمارها بين يدي اثني عشر خليفة، كلُّهم لها مَحْرَم: أبوها يزيد، وجدُّها معاوية، وأخوها معاوية بن يزيد، وزوجها عبدُ الملك، وزوجُ ابنتها عمر

---

(١) تاريخ دمشق ص ٢٠٣ (تراجم النساء ـ طبعة مجمع دمشق).

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٤، واستظهرتُ منه ما أوردتُه بين حاصرتين.

(٣) هو كُثيِّر عزَّة. وينظر «الأغاني» ٩/ ٢١، و«العقد الفريد» ٤/ ٤٠٧، و«تاريخ دمشق» ٥٩/ ٣٠١ (ترجمة كُثيّر ـ طبعة مجمع دمشق)، وتراجم النساء من تاريخ دمشق ص ٢٠٤ (طبعة المجمع أيضاً)، و«ديوان كُثيّر» ص ٣٦٥ـ٣٦٦.

(٤) كذا في (خ) (والكلام منها) وفيه انقطاع ظاهر، ولعل سياق خبر فاطمة هذه سقط من الناسخ، إذ يعني المصنِّف بابنتها فاطمة أنها بنتُ عبد الملك زوجُ عمر بن عبد العزيز (كما سيرد)، وفي قوله: ابنتها فاطمة، وَهْم تابعَ فيه جدَّه ابنَ الجوزيّ في «التلقيح»، فقد ذكر فيه ص٧٠٠ أنَّ لفاطمة هذه ثلاثةَ عشرَ مَحْرَماً كلُّ واحد منهم خليفة. وأوردهم (ووقع في مطبوعه سقط). وكذا ذكر ابنُ الأثير في «الباهر» ص٩٤، فذكر أن معاوية جدُّ أمِّها لأبيها، ويزيد جدُّها لأمِّها، ومعاوية بن يزيد خالُها، ومروان جدُّها لأبيها، وعبد الملك أبوها، والوليد وسليمان ويزيد وهشام إخوتُها، وعمر بن عبد العزيز زوجُها، والوليد بن يزيد ابنُ أخيها، ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد هما ابنا أخيها أيضاً. وقد تعقَّب أبو شامة هذا الكلام في «الروضتين» ١/ ٢٣٢ وقال: وهذا كلُّه مبنيّ على أصل فيه خلل، وهو أنَّ فاطمة بنت عبد الملك ليست أمُّها عاتكةَ بنتَ يزيد بن معاوية، بل أمُّها مخزوميَّة [وهي أمُّ المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص]. اهـ. فذكرَ رحمه الله أنه كان لفاطمة هذه عَشَرة محارم من الخلفاء يمكن أن تضع خمارَها عندهم، وليس ثلاثة عشر. وقد أفادني بما نقلتُه عن "الروضتين" محقِّقُه الأستاذ إبراهيم الزيبق جزاه الله خيراً. وينظر «تاريخ» دمشق ص٢٩٠-٢٩١ (تراجم النساء) وينظر الخبر التالي.

(٥) ما بين حاصرتين زيادة من عندي لضرورة السياق.

ابنُ عبد العزيز رضي الله عنه[١]، وابنُها يزيد بنُ عبد الملك، وابنُ ابنِها الوليد بنُ يزيد، وبنو زوجها: الوليدُ، وسليمان، وهشام، وابنا ابن زوجها يزيدُ وإبراهيم المخلوع ابنا الوليد ابن عبد الملك.

ويقال: إنها عاشت حتى أدركت قتل ابنِ ابنِها الوليد بن يزيد بن عبد الملك[٢].

أرسل عبد الملك بنُ مروان إلى عاتكة بنت يزيد زوجته يقول: أشهِدي بمالك لولدِك. فقالت: أرْسِلْ إليَّ شهوداً. فأرسلَ إليها جماعة؛ فيهم رَوْح بن زِنْباع، فقالت: إن أولادي في غنًى عنّي، اِشهدوا على أنني قد جعلتُ مالي وقفاً على آل أبي سفيان، فهم أحوجُ، لتغيّر حالهم.

فخرج رَوْح إلى عبد الملك وهو ممتقع اللون، فقال: أرسلتَني إلى معاوية جالساً في إيوانه. وأخبره الخبر[٣].

ورَمْلَة بنت يزيد؛ تزوّجها عُتْبة بن عُتْبة بن أبي سفيان، فمات عنها، فخَلَفَ عليها عبّاد بن زياد، فولدت له، ثم تزوّج عبّاد أمَّ عبد الرحمن بنت يزيد بعد رَمْلَة؛ زوَّجه إيّاها خالد بنُ يزيد، فعيَّره عبدُ الملك بنُ مروان وقال: زوَّجْتَه وقد عرفتَ دعوتَه، فقال له خالد: أما إنه سِلْفُك[٤]، وهو دَعِيّي، ولو كان دَعِيَّ غيري[٥] لما زوَّجْتُه.

وأمُّ يزيد بنت يزيد، تزوَّجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان[٦]، فولدت له دِحْية[٧].

---

(١) كذا قال المصنف رحمه الله، ويعني بابنتها فاطمةَ بنتَ عبد الملك، وكذا قال جدُّه في «التلقيح» ص٧٠٠، وهو وهم كما سلف الكلام قبل تعليق. وجاء الخبر في «تاريخ دمشق» ص٢٠٥ (طبعة مجمع دمشق ـ ترجمة عاتكة) على الصواب، إذ لم ترد فيه هذه العبارة، وجاء فيه بَدَلَها: وأبو زوجها مروان بن الحكم.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٦ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٥ .

(٤) سِلْفُ الرجل: زوجُ أختِ امرأتِه. وعبدُ الملك بن مروان زوجُ عاتكة بنت يزيد أختِ رملة وأمِّ عبد الرحمن اللتين تزوَّجهما عبَّاد بن زياد واحدة بعد أخرى. ينظر «نسب قريش» ص ١٣٠ ، و«أنساب الأشراف» ٤/ ٣٩٥ـ٣٩٦ ، و«تاريخ دمشق» ص ٦١ (جزء بدون رقم ـ ترجمة عباد بن زياد، طبعة مجمع دمشق)، و٤٥/ ١٣٧ـ١٣٨ (طبعة المجمع ـ ترجمة عتبة بن عتبة بن أبي سفيان).

(٥) في (خ) (والكلام منها): دعا غيرك. والمثبت من المصادر السابقة.

(٦) في هذا الموضع انتهى الخرم في (ب) الذي بدأ ص ٢٦١ أثناء خبر وقعة مرج راهط.

(٧) نسب قريش ص ١٣٠ ، وأنساب الأشراف ٤/ ٣٩٥ .

obeikandl.com

وأم محمد بنت يزيد [تزوَّجها عَمرو بن عُتبة بن أبي سفيان، فولَدَتْ له. وأمُّ عثمان بنت يزيد] تزوَّجَها عثمان بنُ أبي سفيان، فولدت له أمَّ الحكم(١).

فهولاء بناتُ يزيد لأمَّهات أولاد شتَّى، غير عاتكة، فإنَّ أُمَّها أمُّ كلثوم بنتُ عبد الله ابن عامر.

ومن نساء يزيد أمُّ محمد بنت عبد الله بن جعفر، خطبها يزيد من أبيها عبدِ الله بن جعفر، فزوَّجه إيَّاها، فحُملت إليه من الشام، فخرج يتلقَّاها وقال:

جاءت بها دُهْم البغال وشبهُها ... مُسَيَّرةً في جوف قَرٍّ مُستَّرِ
مُقابلةٌ بين النبيِّ محمدٍ ... وبين عليٍّ والجواد ابن جعفرِ
مُنافِيَّةٌ غرَّاءُ جادَتْ بِوُدِّها ... لعبدٍ مُنافيٍّ أغرَّ مشهَّر

وبلغ عبدَ الله بن جعفر فقال: ما أراه ينسى نفسه في كلّ حال(٢).

وهذه أمّ أبيها بنتُ عبد الله بن جعفر تزوَّجها عبدُ الملك بنُ مروان لما تولَّى الخلافة، فعضَّ يوماً على تفاحة، ورمى بها إليها، فأخذَت السكين وقوَّرَتْ موضع عضَّته، فقال عبد الملك: ما هذا؟ قالت: أُمِيطُ عنها الأذى. فطلَّقها عبدُ الملك، فتزوَّجها عليُّ بن عبد الله بن عباس أبو الخلفاء، فولَدَت له وماتت عنده(٣).

وقيل: إن التي قَوَّرت التفاحة عاتكة بنت يزيد. والأول أصحّ.

ذكر رواية يزيد الحديث:

قال ابن عساكر: روى يزيد الحديث عن أبيه معاوية، وروى عنه ابنُه خالد بنُ يزيد، وعبد الملك بنُ مروان(٤).

---

(١) نسب قريش ص ١٣٠، وما سلف بين حاصرتين منه. وعثمان بن أبي سفيان هو عثمان بن محمد بن أبي سفيان، كما في «تاريخ دمشق» ٤٧/ ٤٣ (ترجمة عثمان بن يزيد بن معاوية).

(٢) تاريخ دمشق ٥٤٧-٥٤٨ (تراجم النساء) وجاء الخبر في «أنساب الأشراف» ٤/ ٤٠٠ في خالد بن يزيد، بدل أبيه يزيد.

(٣) أنساب الأشراف ٢/ ٦١.

(٤) تاريخ دمشق ١٨/ ٣٨٩ (مصورة دار البشير).

وقال عبد الله ابنُ الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: سألتُ أبي فقلتُ: أتروي الحديث عن يزيد؟ فقال: لا ولا كرامة، أنسيتَ ما فعلَ من قتلِ الحسين بن علي، وهدمِ الكعبة وحرمتها، وإباحتهِ المدينة ثلاثاً، وغير ذلك[١]؟!

ذكر طرف من الأشعار المنسوبة إليه:

له ديوان مشهور، وقيل: إنَّ معظم الشعر المنسوب إليه منحول[٢]، والله أعلم.

فمن شعره قال:

ومُدامةٍ صفراءَ في قارورةٍ ... زرقاءَ تحملُها يَدٌ بيضاءُ
فالخمرُ شمسٌ والحَبَابُ كواكبٌ ... والكفُّ قطبٌ والزُّجاج سماءُ[٣]

وله:

ومشمولةٍ صاغ المزاجُ لرأسها ... سماءَ عقيقٍ رُصِّعَتْ بالكواكبِ
بنتْ كعبةَ اللَّذَّاتِ في حَرَم الصِّبا ... فحجَّ إليها اللَّهوُ من كلِّ جانبِ[٤]

وله:

وأنا ابنُ زمزمَ والحَطِيم[٥] ومولدي ... بطحاءُ مكة والمحلَّةُ يثربُ
وإلى أبي سفيانَ يُعْزَى مولدي ... فَمَنِ المشاكِلُ لي إذا ما أُنْسَبُ
ولوَ انَّ حيّاً لارتفاعِ قبيلةٍ ... وَلَجَ السماءَ ولجتُها لا أُحْجَبُ
وأنا المجيرُ على الزمان وصَرْفِهِ ... من جاء من حِدْثانِهِ يتعتَّبُ

ومنه:

أيا سَمُراتٍ بالمُحَصَّبِ من مِنًى ... تَعَرَّيْتِ من أوراقِكِ الخَضِراتِ

---

(١) هو بنحوه في «منهاج السنة» ٢/ ٢٥٣.

(٢) سأنسب الأشعار الآتية إلى قائليها على حسب ما يمكنني الوقوف عليه.

(٣) نُسب البيتان في «يتيمة الدهر» ٢/ ٢٢٨، و«معاهد التنصيص» ٢/ ١٨٢ لأبي بكر الخالدي، وفيهما: والإناء سماءُ. قوله: الحَبَاب، يعني الفقاقيع على وجه الشراب.

(٤) أخذهما ابنُ بقيّ الأندلسي، وهما في ترجمته في «الخريدة» ٣/ ٥٧٩ (قسم شعراء المغرب)، وصدر البيت الأول فيه: ومشمولة في الكأس تحسب أنها. وينظر «وفيات الأعيان» ٦/ ٢٠٤-٢٠٥.

(٥) الحَطِيم: جدار حِجْر الكعبة.

obeikandi.com

يُرادُ من الأشجارِ طِيبُ ظلالِها ... وما يُجتنَى منها من الثمراتِ
إذا لم يكنْ فيكنَّ ظلٌّ ولا جَنًى ... فأبعدكنَّ اللهُ من شَجَراتِ(١)

ومنه:

وقائلةٍ لي حين شَبَّهتُ وجهَها ... ببدرِ الدُّجَى يوماً وقد ضاقَ منهجي
تُشَبِّهُني بالبدرِ! هذا تناقصٌ ... بقدري ولكنْ لستُ أوَّلَ من هُجِي
ألم ترَ أنَّ البدرَ عند كمالِهِ ... إذا بلغَ التشبيه عادَ كدُمْلُجي(٢)
فلا فخرَ إنْ شبَّهتَ بالبدر مَبْسَمي ... وبالسحر أجفاني وبالليل مَدْعَجي(٣)
فقلت [لها] لا تنكري ضعفَ خاطري ... وكثرةَ إفراطي وعُظْمَ تلجلجي
فلم يبق لي عقلٌ من الحبِّ ثابتٌ ... أُقايِسُ بين المستوي والمعوَّجِ

ومنه:

دعُوني أَدَعْها وهي بي مُستهامةٌ ... بنفس(٤) حتى تقطِّعَ النفسُ الكبدا
فتركي لها مادام فيَّ بقيَّةٌ ... بأحسنَ لي من أنْ أكونَ لها عبدا
ولما التقينا للوداع وقلبُها ... وقلبي يَبُثَّانِ الصبابةَ والوَجْدا
بكت لؤلؤاً رَطْباً ففاضت مدامعي ... عقيقاً فصار الكلُّ في نحرها(٥) عِقْدا

[وقال:

اسقني شَرْبَةً تُرَوِّي فؤادي ... ثمَّ مِلْ واسْقِ مثلَها ابنَ زيادِ
موضع السِّرِّ والأمانةِ (عندي) ... وعلى ثَغْرِ مغنمي وجهادي(٦)

وقال:

تمتَّعْ من الدنيا بساعتك التي ... تكونُ بها مالم تُعِقْك العَوائقُ

---

(١) نُسب هذا البيت في «التدوين في أخبار قزوين» ٤/ ١٧٤ لعلي رضي الله عنه.
(٢) الدُّمْلُج: الحِلْية تحيط بالعضد.
(٣) من دَعَج العين، وهو شدة سوادها وبياضها واتساعها.
(٤) كذا في (خ) و(م). ولعلها: بنفسي، (وفي هذا الموضع من النسخة ب خرم).
(٥) في (م): جيدها.
(٦) سلف البيتان ص ١٨٦ ، وفي الخبر ثمة أن ابن زياد هو عُبيد الله، وفي «الأغاني» ١٥/ ٢٩١-٢٩٢ أنه سَلْم بن زياد.

فلا يومُك الماضي عليك بعائدٍ ... ولا يومُك الآتي به أنت واثقُ

وقال[١]:

ألامُ على نَجْدٍ وأبكي صبابةً ... رُوَيْدَكَ يا دمعي ويا عاذِلي رِفْقا
فلي بالحِمى مَنْ لا أُطيقُ فِراقَهُ ... به يَسْعَدُ الواشي ولكنْ به أشقى
إذا لم يَدَعْ مني هواه وهجرُه[٢] ... سوى رَمَقٍ يا أهل نَجْدٍ فكم أبقى
ولولا الهوى ما رقَّ للناس جانبي ... ولا رضيَ الواشون منّي بما ألقَى[٣]

وقال:

يا صَرْخَةَ البَيْنِ كم فَتَّتِّ من كَبِدٍ ... ويا منادي فراقٍ كم تُنادينا
ويا غُرابُ بِشَتِّ الشَّمْلِ تُخبِرُنا ... فارَقْتَ إلْفَكَ كم بالبَيْن تَنْعِينا[٤]
أقولُ للرَّبْعِ إذْ طالَ الوقوفُ به ... ما بالُ أطلالِ ليلى لا تُحيِّينا
لولا اللِّوَى ما لَوَى قلبي الغرامُ ولا ... أضحى فؤادي بوادي الحُزْن محزونا
واللهِ ما طلَبَتْ أرواحُنا بَدَلاً ... عنكُمْ ولا انصرَفَتْ منّا أمانينا
إنَّ الزمانَ الذي قد كان يُضْحِكُنا ... أُنْساً بقربكُمُ قد عاد يُبْكِينا
أذاقَنا فَقْدُ مَنْ كُنَّا نُسَرُّ به ... يُميتُنا في الهوى طَوْراً ويُحْيِينا

وقال:

ما حرَّم اللهُ شُرْبَ الخمرِ من عَبَثٍ ... منه ولكنْ لِسِرٍّ مُودَعٍ فيها
لمَّا رأى الناسَ أمْسَوْا مُغْرَمين بها ... وكلَّ معنًى حَوَوْهُ من معانيها
أوْحَى بتحريمها خَوْفاً عليه بأنْ ... يُضْحُوْا لها سُجَّداً من دونِ باريها][٥]

---

(١) نسب ياقوت الأبيات الأربعة الآتية (مع بيت خامس) في «معجم الأدباء» ١٧/ ٢٦١ لمحمد بن أحمد الأَبِيوَرْدِي، وهي في «ديوانه» ٢/ ٢٢٧.

(٢) في المصدرين السابقين: نواه وحبُّه.

(٣) في المصدرين السابقين: ولا رَضِيَتْ مني (وفي الديوان: منكم) قريش بما ألقى.

(٤) كذا لضرورة الشعر، والجادة: تنعانا.

(٥) الأبيات الواقعة بين حاصرتين (يعني من قوله: اسقني شربة... إلى هذا الموضع) من النسخة (م). وفي نسبة هذا الشعر إلى يزيد نظر.

ومنه:

أمِنْ شَرْبةٍ من ماء كرم شربتُها … غضبتَ عليَّ؟ الآن طابَ لي السُّكْرُ

سأشْربُ فاغضبْ لا رضيتَ، كلاهما … حبيبٌ إلى قلبي عقوقُك والخمرُ(١)

ومنه:

زائرٌ نَمَّ عليه حُسْنُهُ … كيف يُخفي الليلُ بدراً طَلَعَا

رصدَ الخَلْوةَ حتى أمْكَنَتْ … ورَعَى العاذلَ حتى هَجَعَا

كابدَ الأهوالَ في زَوْرَتِهِ … ثمَّ ما سلَّم حتى ودَّعا(٢)

ومنه:

قد شربنا المُدامَ من كفِّ ساقٍ … ناعسِ الطَّرْفِ ناعمِ الأطرافِ

بين ليلى ذوائبٌ وظلام … وصباحَيْ سوالفٍ وسُلافِ

ومنه:

أقولُ لعيني حين جادَتْ بدمعها(٣) … وإنسانُها في لُجَّةِ الدمعِ يغرقُ

خُذي بنصيبٍ من محاسن وجهِها … ذَرِي(٤) الدمعَ لليومِ الذي نتفرَّقُ

ومنه:

مستوقفي بين ذلِّ الصَّدِّ والمللِ … لم يبقَ لي منكَ إلا لذَّةُ الأملِ

لا تَرْحَلَنَّ فما أبْقَيْتَ من جَلَدِي … ما أستطيعُ به توديعَ مُرْتَحِلِ

ولا من الغَمْضِ ما أقري الخيالَ به … ولا من الدمع ما أبكي على طَلَلِ(٥)

ومنه:

لَيْلِي ولَيْلَى نَفَى نَوْمي اختلافُهما … حتى لقد صيَّراني في الهوى مَثَلا

---

(١) فوات الوفيات ٤/ ٣٣٣. ونقل ابنُ قتيبة في «عيون الأخبار» ٣/ ٩٣ عن الأصمعي أن أعرابياً عاتب ابنَه في شرب النبيذ، فلم يُعْتِب، وقال البيتين.

(٢) أورد ابن خَلّكان الأبيات (باختلاف يسير) مع بيت رابع في «وفيات الأعيان» ٣/ ٣٥٠ في ترجمة العَكَوَّك أبي الحسن علي بن جبلة، وذكر أنها من مشهور شعره. ونسبها ياقوت في «معجم الأدباء» ١٧/ ١٢٣ لمحمد بن أحمد الهاشمي.

(٣) في «الحماسة البصرية» ٢/ ١٤٥: بمائها.

(٤) في المصدر السابق: دعي.

(٥) جاءت الأبيات الثلاثة في «يتيمة الدهر» ٣/ ٤٤٨ ضمن قصيدة لأبي إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي.

obeikandi.com

يجودُ بالطُّولِ ليلي كلَّما بخلَتْ ... بالطَّول لَيْلَى، وإن جادَتْ به بَخِلا[(١)]

ومنه:

خُذُوا بدمي ذاتَ الوِشاح فإنَّني ... نظرتُ بعيني في أناملها دمي
ولا تُخبروني إنْ سمعتُم بموتها ... بل خبِّروها إنْ سمعتُمُ بمأتمي
وميالةِ الأعطاف مهضومةِ الحَشَا ... تبدَّت لنا بين الحَطِيمِ وزمزمِ
لها حُكْمُ لقمانٍ وصورةُ يوسفٍ ... ونغمةُ داودٍ وعفَّةُ مريمِ
ولي حزنُ يعقوبٍ وذلّة يونسٍ[(٢)] ... وآلامُ أيوبٍ ووَحْدةُ آدمِ
فلا تحسبوا أني قتيلُ صوارمٍ ... ولكن لِحاظٍ قد رمَتْني بأسهمِ
ولو لم يمسَّ الأرضَ فاضلُ بُرْدِها ... لما كان عندي فُسحةٌ في التيمُّمِ

ومنه:

متى شافَهَتْ بي[(٣)] العِيسُ سَلْمَى مُسَلِّماً ... وأنْجَدَ بالسَّارِينَ مَنْ كان مُتْهِما
تَقَلْقَلَ قلبي واقْشَعَرَّتْ جوارحي ... إذا قيل هذا رَمْلُ يَبْرِينَ والحِمَى
كأنَّ حَمامَ الأيكِ بعد فراقِنا ... أقامَ لفقداني هنالك مأتما
على مُقْلَةٍ تبكي العَقِيقَ بمثلِهِ ... وتفضُلُ حزناً مالكاً ومُتَمِّما
سَقَى عَلَمَيْهَا مُغْدِقُ الوَبْلِ مُسْبِلٌ ... إذا ما بكى في رَبْعِ دارٍ تَبَسَّمَا
يَهُلُّ بمنهلِّ العَزَالِ[(٤)] بطاقةٍ ... فيُلبِسُه ثوباً من الوَشْيِ مُعْلَمَا

ومنه:

ولمَّا تلاقَيْنا وجَدْتُ بَنَانَها ... مُخَضَّبةً تحكي عُصارةَ عَنْدَمِ
فقلتُ خَضَبْتِ الكَفَّ بعدي وهكذا ... يكون جزاءُ المستهامِ المُتَيَّمِ
فقالت وأذكَتْ في الحَشَا لوعةَ الجَوَى ... من النارِ لم تُخمد ولم تتضرَّمِ

---

(١) نسبهما العبَّاسيّ في «معاهد التنصيص» ١/ ٢٦٦ لبعض المتأخرين، ولم يسمّه.

(٢) كذا في (ب) و(خ) و(م)، وليست لائقة أن تُقال لنبيّ!.

(٣) في (ب): في. والأبيات ليست في (م).

(٤) كذا في (ب) و(خ). والعَزَالي جمع العَزْلاء، وهو مصبّ الماء من القِرْبة ونحوها. يقال: أرسلت السماء عَزَالِيَها، أي: انهمرت المطر.

بَكَيْتُ دماً يومَ النَّوى فمسَحْتُهُ ... بكفِّيَ فاحْمرَّتْ بنانيَ من دم
ولو قبلَ مَبْكاها بَكَيْتُ صَبابةً ... بسُعْدَى شَفَيْتُ النفسَ قبل التندُّمِ
ولكنْ بَكَتْ قبلي فَهَيَّجَ لي البُكَا ... بُكاها وكان الفَضْلُ للمتقدِّمِ

ومنه:

يا جَوارِ[ي] الحَيِّ عُذْنَنِيَهْ ... حَجَبُوا عنِّي مُعَذِّبِيَهْ
رَشَأٌ[1] كالبَدْرِ طَلْعَتُهُ ... لو سقاني سُمَّ سَاعَتِيَهْ
لم أقُلْ إني سَلَوْتُ ولا ... إنَّ مَنْ أهْوَاه مِلَّتِيَهْ
فهو حَجِّي وهو معتَمَري ... وهو فَرْضي وهو سُنَّتِيَهْ
وهو قصدي وهو معتمدي ... وهو جالينوسُ عِلَّتِيَهْ
قَرِّبُوا عُوداً وباطِيَةً[2] ... فبذا أدْرَكْتُ حَاجَتِيَهْ

السنة الخامسة والستون

فيها خرج سليمان بنُ صُرَد إلى النُّخَيْلَة[3] في مستهلّ ربيع الآخِر للوعد الذي كان قد واعدَ عليه أصحابَه، ويسمَّى جيش التَّوَّابين، فنزل بها، وخرج إليه الناس، فلم يعجبه قلَّتهم، فبعث إلى حكيم بنِ منقذ الكندي[4] والوليد بنِ غُصين، فقال: اذهبا إلى الكوفة، فناديا: يا لَثارات الحسين، فدخلا إلى الكوفة، وبلغا المسجد الأعظم، وسمع الناس، فخرجوا وقاموا من الفُرُش، منهم عبد الله بن خازم الأزدي؛ كان مع زوجته سهلة بنت سبرة، من الأزد، وكانت من أجمل الناس وأحبِّهم إليه، فلما سمع الصوت قام، فلبس درعه، وحمل سلاحه، وركب فرسه، فقالت له امرأته: أَجُنِنْتَ؟! إلى أين؟ قال: ويحكِ! أما تسمعين داعيَ الله؟! فأنا مُجيبُه، وطالبٌ بدم هذا الرجل،

(١) الرَّشَأ: ولدُ الظَّبْيَة إذا قويَ وتحرَّك ومشى مع أمه.
(٢) البَاطِيَة: الخمر وإناؤها.
(٣) موضع قرب الكوفة على سمت الشام، خطب فيها علي ﷺ خطبة مشهورة، ذمّ فيها أهل الكوفة. ينظر «معجم البلدان» ٥/ ٢٧٨ .
(٤) في (ب) و(خ): الكناني، والمثبت من «تاريخ» الطبري ٥/ ٥٨٣ ، و«الكامل» ٤/ ١٧٥ . ووقع في «أنساب الأشراف» ٦/ ٣٣ : حكم بن منقذ.

obeikandi.com